هل للإنسان مستقبل؟





سلسلة الأفكار

تأليف

برتراند رسل

تصدير

أرنولد توينبي

ترجمة

سمير عبده





برتراند رسل

هل للإنسان مستقبل؟

تصدير
أرنولد توينبي

ترجمة
سمير عبده



الطبعة الاولى

نيسان ١٩٦٩

تصميم الغلاف

عيسى فرج عيسى

هذه ترجمة لكتاب

Has Man a Future
By
Bertrand Russell

طبعة عام ١٩٦٥

مقدمة المترجم

هناك اناس في العالم نذروا انفسهم للعمل من اجل السلم العالمي ، بدافع وجداني وتصميم اكيد لخدمة الانسانيه وابعاد شبح الحرب عنها .

وبرتراند رسل ، الفيلسوف البريطاني المعروف ، في مؤلفه هذا ، الذي بين ايدي القارىء ، الحامي القدير والعالم الانساني في شرحه ابعاد خطر الاسلحة النووية ، من القنبلة الذرية الى القنبلة الهيدروجينية .

وقد عد هذا الكتاب بحق ، وبرأي المؤرخ المشهور ، ارنولد توينبي ، من خيرة الكتب التي صدرت في السنوات الاخيرة ، من حيث البحث عن مستقبل الانسان .

وقد رأينا ان نصدر الكتاب ، بالمقـال الذي كتبه توينبي في تقريظ الكتاب حين صدوره ، وهو تحليل جدير ان يضع في التصدير .

١٩٦٩/١/١

سمير عبده



بقلم المؤرخ البريطاني : ارنولد توينبي

لوذهبنا الى الافتراض أن جيلنا لن يصفي الجنس البشري ، ولنتصور أن أحفادنا بعد ثلاثة أو أربعة أجيال من الآن ، قد أقاموا معرضاً باسم (الجيل المجرم) الذي أتصوره الآن ، سيسخر منا ، وسيعبر به أحفادنا عن غيظهم الدائم .

وفي معرض المستقبل هذا يصطدم ناظري بصندوق يضم ثلاثة معروضات من مطبوعات جيلنا ، أحد هذه المعروضات ، عبارة عن صحيفة مسائية تصدر في لندن ، ولا تحتوي شيئاً سوى (أحاديث عامة) ثاني المعروضات عبارة عن كتاب يتحدث فيه أحد الخبراء والفنيين الاميركيين عن الحرب

---

(١) على اثر صدور كتاب رسل (هل للانسان مستقبل ؟ ؟) الذي بين ايدي القارىء ، بادر عدد من المؤرخين والعلماء والكتاب الى استعراض هذا الكتاب ، ملقين الاضواء على مايحتويه من ذخر المعلومات ، ومن فكرة مثالية لصيانة السلم العالمي . وكان من هؤلاء ، المؤرخ البريطاني المعروف ارنولد توينبي ، فكتب هذا المقال يستعرض به الكتاب ، في جريدة الاوبزرفر . عدد يوم الاحد ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦١ وهذا المقال لم يورد في طبعة الكتاب الذي اعتمدنا عليه في الترجمة .

« المترجم »

الذرية ، وفيه يناقش المؤلف قضية : هل ستبلغ خسائر أميركا عند الضربة الاولى ١٦٠ مليوناً أو ٦٠ مليوناً فقط ؟ أما الكتاب الموجود في هـــذا الصندوق فمن تأليف لورد رسل وهو موضوع مقالي الحالي . وعندما تقع عيون رواد المعرض على ثالث المعروضات فان كآبة مشاعرهم ستخف قليلاً على ما أعتقد . وقد يقولون مهما يكن الامر فان ذلك الجيل المجرم كان أفضل نوعاً من سودوم وعموره ، لقد أنجب رجلاً نزيهاً على الاقل . هاكم رجلا من ذلك الجيل ، رجلا اهتم أشد الاهتمام ببقاء النوع الانساني ولم يهرب الى السلبية بحجة الشيخوخة .

والواقع ان النمط الاساسي في هذا الكتاب الذي ألفه لورد رســـل هو ذلك الاهتمام – المخلص النابض - بالمحافظة على الجنس البشري ، وهو عنيف في انتقاده الشديد لشرور الانسان وغبائه (وقد كان عهدنا برسل دائماً ذاك العنف) . وأي مرمى يستحق سهامه أنسب من المسلك الحالي الذي تسلكه الدول النووية ؟ غير أن غضبه الهائل لم يجعله يتسقط هفوات البشر بحقد ، أو يبدي نحوهم مشاعر الكراهية . ذلك أنـــه يدرك جيداً أن الجنس البشري لايزال يعيش طفولته ، وانه اذا سمح جيلنا ببقاء هذا الجنس البشري فانه سيعيش ضعف الحياة التي عاشها الى الآن مئات المرات .

واذا كان لورد رسل يكره الجرائم والحماقات التي ارتكبها الجنس البشري في الماضي والحاضر ، فان هذا لايجعله يتغاضى عن المكاسب الروحيـــة والفكرية التي حققها أفضل من يمثلون النوع البشري . وهو يرى في هـذه المكاسب حافزاً الى مستقبل الانسان ، وما يمكن أن يكون عليه هـــذا المستقبل ولورد رسل متفائل بالنسبة للافتراض القائل بان امام الانسان

مستقبلا ، وربما كانت لفظة متفائل مغرقة في السلبية ، ذلك أن لورد رسل يسهم بحماس كبير في عظمة جنسنا وسعادته ، العظمة والسعادة اللتين قد تتحققا في المستقبل . انه دائب الاهتمام بما قد يحدث بعد ان تنتهي حياة جيلنا بعصور طوال ؟

ويركز رسل على الخطأ الكبير الذي ترتكبه الدول النووية ، حين لاتحترم القوة التي وضعها العلم في ايديها ، وهي قوة لم يسبق لها مثيل وحتى اذا كان بمقدور الزعماء السياسيين ، في هذه الدول ، أن يقنعوا اخوانهم المواطنين بارتكاب الانتحار الجماعي ، فمن المؤكد أنهم يناقضون طبيعة الاشياء ويخرجون على القانون ، استعداداً للاعمال التي سيذبحون فيها الاطفال وهم بين أذرع أمهاتهم ، وسينكرون نعمة الحياة على أطفالهم الذين لم يولدوا بعد ، وجدير بالذكر أن عدد أفراد الاجيال القادمة أكبر بكثير من عدد الافراد الذين ظهروا حتى اليوم .

ويشجب لورد رسل استخدام علماء النواة كخلب قط . وهو يورد من الأدلة مايبين كيف أن بعضاً من أكبر علماء الذرة بادروا ، منذ اللحظة التي ظهرت فيها أول قنبلة ذرية ، فنبهوا الحكومات الى النتائج التي قد تتمخض عن الحرب النووية . وأهاب العلماء برجال السياسة أن يلغوا القنبلة الذرية ، وأن يؤكدوا هذا الالغاء بالغاء الحرب نفسها . واذا كانت هذه الالتماسات لم تجد الأذن الصاغية فليس هذا ذنب العلماء . فهؤلاء العلماء قلة في العدد ، وهم ليسوا منظمين داخل جهاز يقدمون من خلاله على اجراء سياسي . ولورد رسل على حق حين يلقي عبء المسؤولية في الأخير ، على عاتق مواطني هذه الدول النووية . واذا كان

كل الماني مسؤول الى حد ما عما فعله هتلر ، فان كل مواطن في الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، مسؤول الى حد ما ، من الخطر الراهن الذي ينذر الجنس البشري بالفناء .

وكان من بين الخدمات الجليلة التي أداها لورد رسل في هذا الكتاب أنه جعلنا ندرك بجلاء ذلك التناقض البين بين جسامة الأخطار التي تسببنا فيها ، وسخف المصالح القومية التي نتقاتل من أجلها ، مصالح ستفنى مع فناء كل شيء آخر ، وذلك إذا تمت تصفية الجنس البشري . وهو يبحث عن الجذور النفسية لهذا الجنون ، فيجدها في رعونتنا . اننا نفضل اجراء ينهي حياة البشر على استسلام لارادة عدونا .

ترى ، هل تكون هذه الرغبة في الحرب بأي ثمن سمة مركبة في النفسية البشرية ؟ هنا ترى أن لورد رسل متفائل ايضاً ، وليس من شك في أنه على صواب من هذا التفاؤل . انه يؤمن بأن رغبتنا في القتال ترسبت من عادة اكتسبناها خلال عصور كان الجنس البشري يقاتل فيها اقرانه من الوحوش كي يكتب له البقاء . واذا اصبح الجنس البشري سيد هذه الوحوش اخذ يشبع عادة القتال في حرب يحارب فيها الاخ اخاه . انها عادة قديمة . وشريرة ، بيد ان من الممكن تغيير العادة اذ صمم المرء على بذل المجهود الاخلاقي المطلوب وان جيلنا ليدرك أن علينا في عصر الذرة ، ان نشفى انفسنا من عادة شن الحرب اذا اردنا ابقاء الجنس البشري . أما الشيء الغريب فينا ، الشيء الذي يسيء الينا أبلغ اساءة ، فهو اننا لازلنا نسمح لأنفسنا بان نفكر ونحس ونتصرف بالاسلوب القديم نفسه ، نفعل هذا بعد انصرام ستة عشر عاما على القاء القنابل الذرية على هيروشيما ونغازاكي .

ويقترح لورد رسل انشاء حكومة عالمية لها سلطة فعالة ، سلطة تجعل الحرب مستحيلة في المستقبل . بيد أن أي مشروع لدستور عالمي قد يبدو أكثر جمالاً من الواقع ، هذا إذا نجحنا فعلاً في انشاء حكومة عالمية بصورة من الصور . ذلك أننا جد متشبثين بالسيادة القومية ، لذا سنبذل أقل جهد في هذا السبيل . وسنبذل هذا الجهد المحدود بالتقسيط ، ولن نبذله إلا في آخر لحظة . ومع هذا فمن العسير تحقيق هذا القدر المتواضع.

وهنا نجد أن أهم نقطة يعرضها لورد رسل قد تكون ذات طابع سلبي ، وهو يصر على أن من العبث اقتراح أية ترتيبات من شأنها تغيير ميزان القوى الحالي ، وعلى هذا الأساس وحده قد تتاح فرصة قبول أية مقترحات عن طريق المجانين .

ومن أصعب المهام ، في هذا العالم ، أن تجعل الناس يهتمون بشيء على جانب كبير من الأهمية ، شيء يعرفونه ، لكنهم يفضلون نسيانه . وإذا كان هناك شيء يمكن أن يحرك الأمم النوويه فان كتب رسل قد يكون هذا الشيء . والذي يدفعه القارىء في شراء النسخة التي طبعتها بنغوين ، يمكن أن يتجمع بالامتناع عن شراء صحيفة مسائية لمدة اسبوع واحد .

ومن بين الثلاث أمم التي تملك الذرة تتكلم اثنتان الانجليزية ، ولذا يقتضي الأمر وجود ترجمة روسية ، حتى تكتمل المهمة . فاذا أمكن شحن كميات من هذه الترجمة الروسية على متن طائرة اميركية ، والقاء هذه الشحنة على أرض سوفيتية ، فانني أجد نفسي أحبذ فكرة اقتحام الطائرات الاميركية للفضاء الروسي مرة أخرى .

أتوطئة أم خاتمة؟*

ان « الانسان أو الانسان العاقل ، كما يسمى بشيء من الكبرياء هو أكثر الأنواع الحيوانية على هذا الكوكب الأرضي أهمية وإثارة أيضاً ».

قد تكون هذه أول جملة ، في آخر فصل من تقرير يكتبه عالم بيولوجي متفلسف من سكان المريخ عن نباتات وحيوانات أرضنا . أما نحن الذين تستوعبنا الدنيا فكرياً وعاطفياً استيعاباً عميقاً فمن الصعب ان ننظر نظرة واسعة حياديه للاشياء كما ينظر اليها زائر من عالم آخر بصورة طبيعية . بيد أن من المفيد لنا أن نحاول بين حين وآخر القيام بتأمل مشابه للتأمل الذي قام به هذا المريخي المفروض[1] بصورة طبيعية . فنجري في ضوء هذا التأمل تقييماً للماضي والحاضر والمستقبل (اذا كان ثمة مستقبل) في حياة نوعنا البشري . وننظر الى قيمة مافعل الانسان وما يفعله الآن وما قد يفعل فيما بعد في الحياة على ظهر البسيطة خيراً كان أم شراً ، وما قد يفعل بهذه الحياة في المستقبل إذا عاش في عالم آخر . وفي مثل هذا التقييم تفقد العواطف الطارئة قيمتها واهميتها ، كالتلال الصغيرة

---

* هذا العنوان ظهر ايضاً في كتابي المجتمع الانساني في الاخلاق والسياسة .

(١) يعني المؤلف هنا (المريخي) نسبه الى العالم المتفلسف من سكان المريخ
المترجم

تبدو منبسطة اذا نظر اليها الرائي من الطائرة بينما تبرز المعالم التي تتصف بأهمية دائمة اكثر وضوحاً مما هي في منظر أكثر تحديداً .

وفي البدء كان الانسان يبـدو وكأنه في صراعـه الشامل للحيـاة لاينطوي على نظرة مبشرة بالبقاء . فكان لايزال نوعاً نادراً ، وأقل رشاقة من القرد في تسلق الأشجار هرباً من الحيوانات المفترسة ، كما كان مجرداً تقريباً من آية وقاية طبيعية لمقاومة البرد كتزوده بالفراء مثلاً ، وكانت تعيقه طفولة طويلة الأمد كما كان يجد صعوبة في منافسة الأنواع الأخرى في الحصول على الطعام . لم يكن للانسان ما يتميز به سوى دماغه ثم ثبت تدريجياً ان هذه الميزة تراكمية وقد حولته طريدة هاربة الى سيد الارض . والخطوات الأولى في هذا التطور ، خطوات تعود الى ماقبل التاريخ ، وترتيبها يقوم على التخمين والظن .

تعلم الانسان كيف يستخدم النار التي انتجت اخطاراً مشابهـــة في النوع للأخطار الناجمة عن اطلاق الطاقة النووية وان اختلفت عنها في الدرجة ، فالنار لم تصلح من شأن طعام الانسان فحسب، بل أمنت سلامته خلال نومه بابقائها ملتهبة عند فوهة كهفه ايضاً ، واخترع الانسان الحراب والاقواس والسهام ، وحفر الخنادق الخفية وجعلها فخاخاً للحيوانات اللبونة الضخمة المنقرضة [1] التي كانت تصارع هائجة للنجاة دون جدوى . ثم روض الحيوانات ، واكتشف فوائـد الزراعة في فجر التاريخ .

وكانت اللغة هي المكسب الاسمى الذي يفوق كل مكاسب الانسان . ويجب على المرء ان يفترض بان لغة الحديث قدتطورت ببطء شديد من صيحات

---

(١) الماموث (المترجم)

حيوانية صرفة ، أما لغة الكتابة التي لم تكن في البدء (ممثلة) للكلام ، فقد كانت نتاج صور اخبارية أصبحت بالتدريج اشكالا ثابتة .

ومن أعظم مميزات اللغة انها جعلت من الممكن نقل الخبرة الى الآخرين فالتعلم الذي حصل عليه جيل ما أمكن نقله بكامله الى الجيل الآخر ، وأمكن أيضاً ان يحل التعليم مكان التجربة الشخصية على قياس واسع ، بل كانت الكتابة - اكثر من الكلام سبيلا ممكناً لاختزان المعرفة ، واضافة السجلات الى منطويات الذاكرة ، ولقد جعلت هذه التسهيلات في حفظ ما اكتشفه الافراد - أكثر من أي شيء آخر - التقدم البشري ممكناً . فقد اتى على الانسان حين من الدهر طرأ فيه تقدم بيولوجي في قدرة الدماغ مقترن بتقدم في القدرة الوراثية . ولكن هذه الفترة قد انتهت منذ ٥٠٠٠٠٠سنة،ومنذذاك الحين ، لم يزدد الذكاء البشري الطبيعي الا قليلا ، اذا كان قد ازداد اصلا ، وأخذ التقدم الانساني يعتمد على المهارةالمكتسبة التي تنتقل بالتقاليد والتعليم . ولقد وضعت الأسس في عصور ما قبل التاريخ ، دون قصد واعي ، فيما يظن ، ولكنها حينما رسخت جعلت تقدم المعرفة والسيطرة المتسارع المستمر ممكناً . وكان التقدم في القرون الخمسة الماضية أعظم من أي تقدم في سجل التاريخ البشري المنصرم. ومن مشكلات عصرنا الباعثة على القلق سرعة التغير في عادات التفكير التي لا توازي سرعة التغير في الوسائل التكنية ، فنجم عن ذلك ازدياد في المهارة وتضاؤل في الحكمة .

وخلال الآلاف الطويلة من السنين التي كان فيها بقاء الانسان موضع شك برز الانسان بمهارات مفيدة ، وغرائز وعادات تكونت نتيجة كفاحه الماضي الا أنه لا يزال مضطراً الى مقاومة أخطار غير بشرية(أو تتجاوز نطاق البشرية) كالمجاعات والفيضات والانفجارات البركانية . وجمع التدابير القيمة التي أمكن

اتخاذها في الايام السالفة الأولى لاتقاء المجاعة قدورد ذكرها في سفر التكوين .
أما بالنسبة لدرء خطر الفيضانات فان نوعان من المناهج اتخذا : فقد بنى الصينيون في فجر تاريخهم حواجز على طول النهر الاصفر ، في حين اظهرت لنا قصة نوح ان غرب آسيا كانت تعتقد بأن الحياة الفاضلة هي افضل وسائل الوقايه وكان سكانها يتمسكون بهذا الرأي بالنسبة للانفجارات البركانية أيضاً ، وقد صاغوا ذلك في تعبير أدبي في قصة سدوم وعموره . ولا يزال هذان النموذجان من الرأي النظري – الصيني والآسيوي الغربي مستمرين حتى يومنا هذا في نزاع شديد ، وان كانت وجهة النظر الصينية تزداد في تفوقها المتدرج . ومع ذلك فقد دلت التطورات الاخيرة على أن الحياة الفاضلة (لا بمعناها التقليدي تماماً) لا يقل بقاؤها ضرورة عن الحواجز الواقية .

وحينما تحرر الانسان من أخطار محيطه غير البشري حمل معه الى عالمه الجديد كينونة غريزية وعاطفية تمكن بواسطتها من البقاء خلال العصور المنصرمة . وقد احتاج الى قدر كبير من القوة والعزيمة العاطفية ليتمكن من البقاء . واحتاج الى اليقظة المتوفرة والخوف المترقب والى الشجاعة في مواجهة المخاطر خلال الأزمات . فما الذي كان يجب أن يعمله بهذا الجهاز من العادات والعواطف ، بعد ان تغلب على الأخطار القديمة ؟ لقد حول عداءه وشبهاته التي كانت موجهة حتى ذلك الحين الى الأسود والنمور ضد أقرانه من البشر – وليس ضدهم جميعاً لأن كثيراً من المهارات المكتسبة التي مكنته من البقاء كانت تتطلب تعاوناً اجتماعياً ، بل ضد اولئك الذين يعيشون خارج وحدته التعاونية فقط . وبهذه الطريقة – أي بواسطة التماسك القبلي والحرب المنظمة – ألف الانسان ، خلال قرون عديدة ، بين الحاجة الى التعاون الاجتماعي وبين الشراسة الغريزية

والاشتباه اللتين تولدتا فيه من الصراع الماضي في سبيل البقاء . ومنذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا غيرت المهارة التي أوجدها الذكاء محيط الانسان بصورة مستمرة، بينما ظلت غرائزه وعواطفه بصورة اجمالية لتلاءم عالماً أكثر بدائية وضراوة .

وولد تحول الخوف والشبهة من العالم غير البشري الى الفئـــات البشرية المتخاصمة مرحلة جديدة في نمو روح القطيع . والانسان ليس اجتماعياً تمامـــاً كالنحل او النمل ، التي لا تبدو مدفوعة بحافز غير اجتماعي في سلوكها . فالانسان قتل ملوكه مرات عديدة ، بيد ان النحل لا يغتال ملكاته الا في حدود قانون الخلية ، وليس ثمة حوادث اغتيال طارئة للطغاة ، ولو دخلت نملة غريبة بطريق الصدفة الى قفير اجنبي لقتلت فوراً ، ولا ينجم عن ذلك احتجاج من « أنصار السلم » أبداً . والاقليـات المخالفة هنا غير معروفة كما أن التماسك الاجتماعي يسيطر على سلوك كل فرد منها . ولا ينطبق هذا الحال على الكائنات البشرية ، فلم يعرف الانسان البدائي ، في الارجح ، فئة اجتماعية أكبر من العائلة. ويجب ان يفترض بأن العائلة قد اتسعت فاصبحت قبيلة ،نتيجة لخطر الاعداء البشريين واشتهرت القبيلة بأن لها جد مشترك واحد . وأنتجت الحروب مجموعات منضمة من القبائل ، فالامم ، فالامبراطوريات ، فالاحلاف . وكثيراً ما تحطم التماسك الاجتماعي ، فكانت الهزيمة هي العاقبة . وازدادت بالتـالي ، قدرة البشر على التعاون بشكل بمجموعات كبيرة ، وعلى ابداء روح قطيعية كان يفتقر اليهـــا أجدادهم الأولون . ويعود ذلك جزئيـاً لعملية الانتخاب الطبيعي ، وفي شطر آخر ، للشعور بالمصلحة الذاتية .

والدنيا التي نعيش فيها شكلتهـــا ستة آلاف سنة من الحروب النظامية . وانقرضت اثنائها الشعوب المهزومة - كقاعدة عامة - او قـل عددها بنسبة كبيرة . وكان النجاح في الحرب يرتكز الى عوامل متنوعة،واهم هذه العوامل

ضخامة عدد السكان ، فالتفوق في المهارة التكنية ، وازدياد التكامل في الترابط والتماسك الاجتماعي والحماس . ويعتبر أي شيء يزيد من عدد الكائنات البشرية والتي تعيش في منطقة معينة تقدماً من وجهة النظر البيولوجية المحضة . ومن وجهة النظر هذه التي تتصف ببعض الضيق يمكن اعتبار حروب كثيرة باعثاً على التفاؤل ، ولابد أن الرومان قد زادوا من عدد السكان زيادة كبرى في معظم أجزاء امبراطوريتهم الغربية كما ان كولمبس وخلفاءه ، قد جعلوا نصف الكرة الغربي يتسع لأضعاف مضاعفة من السكان بالنسبة ما كان عليه عدد الهنود قبل كولمبس . أما في الصين والهند ، فاننا نجد ان الحكومات المركزية التي قامت بعد عصور من الحروب هي التي جعلت وجود مثل هذا العدد الهائل من السكان ممكناً فيها ، بيد ان هذا لم يكن دائماً بأية حال النتيجة الدائمة للحروب . فالمغول قد أحدثوا اتلافاً لا تعوض في بلاد الفرس كما فعل الترك في امبراطورية الخلفاء والخرائب القائمة في شمال افريقية التي تحولت مناطقها الان الى صحراء تدل دلالة واضحة على الضرر الذي نجم عن سقوط روما . ويقدر عدد الذين ماتوا بسبب ثورة تايبن برقم يفوق عدد القتلى في الحرب العالمية الاولى . وفي هذه الاحوال جميعها كان النصر للجانب الاقل حضارة . وبالرغم من هذه الامثلة المتعاكسة فمن المحتمل ان تكون الحروب في الماضي ، مع ذلك ، قد أدت في رصيدها الى زيادة عدد سكان كوكبنا اكثر مما أدت الى نقصهم .

وهنالك مع ذلك وجهة نظر أخرى غير وجهة النظر البيولوجية ، فمن ناحية الارقام الصرفة يعتبر النمل أكثر نجاحاً من الآدميين بمئات عديدة من الأضعاف . فقد رأيت أقاليم واسعة في استراليا خالية من البشر تماماً . ولكنها ماهولة بأسراب لاحصر لها من النمل الأبيض [1] ، ولكننا

---

(١) ويطلق عليه اسم الأرضة المترجم

لانعتبر النمل الأبيض بسبب ذلك متفوقاً علينا . فالانسان يتمتع بمزايا اضافية علاوة على تلك المزايا التي جعلته اكثر الحيوانات اللبونة الكبرى عداداً . وهذه المزايا التي ينفرد بها البشر يمكن تسميتها بصورة جماعية بالمزايا الثقافية . وهي من خصائص الافراد اكثر مما هي من خصائص المجتمعات وتتضمن شؤونا مختلفة كل الاختلاف عن التلاحم الاجتماعي وعن القدرة على احراز النصر في الحروب .

وتقسيم الجنس البشري الى أمم متنافسة بل ومتنابذة في الغالب له تأثير مشوه هدام على التقديرات القومية التي يقاس بها المستحقون لرتبة الشرف . فقد خصصنا في بريطانيا تماثيلنا أو أنصابنا العامة لنلسون وولنغتون ، اللذين نقدرهما لمهارتهما في قتل الاجانب . ومن الغريب أن نقول بأن الاجانب لايشعرون بنفس الاعجاب الذي نشعر به نحو البريطانيين الذين يبدون مهارة من هذا الطراز . ولو سألت أي رجل مثقف غير بريطاني ، عمن يعتبره من مفاخر بريطانيا الرئيسية لذكر لك شكسبير ونيوتن وداروين دون أن يذكر لك نلسون وولنغتون . وربما كان قتل أو ذبح الأجانب ضرورياً في وقت ما لمصلحة الجنس البشري بصورة عامة ولكننا حينما نبرره يغدو عملا طبيعياً من أعمال الشرطة القسرية ويعرب بذلك عن الزهو والطمع القوميين . والجنس البشري لايستحق الاحترام لمهارته في الفتك بأفراده ! ترى أي حجة يستطيع أن يدلي بها آخر انسان ممكن يمثل أمام قاضي جهنم - كما ورد في كتاب الموتى المصري - ليثبت أن انقراض جنسه أمر يدعو الى الأسف ؟ وكم كنت أتمنى لو يستطيع القول بأن الحياة البشرية كانت سعيدة بصورة عامة . غير أن غالبية الجنس البشري عاشت حتى الآن منذ

اختراع الزراعـة ، والتفاوت الاجتماعي والحرب المنظمة ، حيـاة عنت شديد وجهد مفرط وفواجع دورية مؤسية . وقد لاتكون الحال كذلك في المستقبل ، اذ يستطيع قليل من الحكمة أن يجعـــل حياة الجنس البشري كلها مرحة . ولكن من يدري اذا كانت هذه الحكمة اليسيرة وشيكة الوقوع ؟ وخـــلال ذلك سيكون التاريخ الذي سيعرضه آخر رجل أمام اوزريس للمصادفة شيئاً آخر مبايناً للسعادة البشرية .

ولو كنت أنا المرافع أمام اوزريس في سبيل استمرار حياة الجنس البشري ، لقلت له « أيها القاضي العادل الذي لايلين » ، أن الشكوى الموجهة ضد الجنس يستحقها كل الاستحقاق لاسيما في هـــذه الأيام ، ولكننا لسنا كلنـــا مذنبين وقليل منا لايملكون امكانيات أفضل من الامكانيات التي كونتها ظروفنا . ولا تنس اننا خرجنا مؤخراً من حمأة الجهـل القديم والصراع الطويـل من أجل البقاء .. ومعظم مالدينا من معرفة قد اكتشفناه خلال حياة الاثنى عشر جيل الآخرين وكثير منا قد أسكرته نشوة السيطرة الجديدة على الطبيعة فأضلتهم لنشدان السيطرة على بقيـة البشرية . وهذا هو جنون مسعور يغرينا بالعودة الى الحمـأة التي نجونا منها بعض النجاة ، ولكن هـــذه الحماقة الشاذة لم تستغرق طاقاتنا فما عرفناه في الدنيـــا التي نعيش فيها عن السدم والذرات ، الكبير والصغير من الأجسام ، اكثر مما كان يبدو ممكنا قبـل يومنا هـــذا . قد تجيب بأن المعرفة لاتكون خبرة الا اذا تداولتها أيدي اولئك المزودين بالحكمة الكافية ليحسنوا استخدامها ولكنها لاتزال زمنية طارئة حتى الآن دون سلطة للسيطرة على الأحداث . لقد بين الحكماء

والانبياء في مواعظهم حماقة الصراع بين البشر ، فاذا أنصتنا اليهم نعمنا بسعادة جديدة .

« لم يبين لنا العظماء من الرجال ما ينبغي أن نتجنب فحسب بل أثبتوا لنا أيضاً أن في مكنة الطاقة البشرية أن تبدع عالماً متألقاً بالجمال والمجـد الرفيـع . تأمل الشعراء والموسيقيين والمصورين ، اولئك البشر الذين تحولت رؤاهم الباطنيـة الى هيا كل من الجمـال الرائع ماثلة للعيان ربما كان في استطاعتنا أن نملك هـذا العالم كله الذي أبدعته المخيلة . وكان من الممكن أن تتصف العلاقات البشرية بجمال الشعر الغنائي . وفي بعض المنيهات يمارس الكثيرون بعض هذه التجربة الذي يتمثل في حب الرجل والمرأة ، وليس هنالك سبب يحفزنا الى حصر هذه التجربة في حدود ضيقة فمن الممكن أن تضم العالم كله ، وهو الحـــال في السيمفونية الجوقية مثلا لبيتهوفن ، وهذه أشياء يستطيـع الانسان القيام بها ، ويمكن للأجيال المقبلة إنجازها اذا منحت الوقت الضروري لذلك . لذا نبتهل اليك أيهـــا الاله اوزريس أن تمنحنا مهلة وفرصة للخروج من حماقتنا القديمة ، الى عالم من النور والحب والجمال الساحر » .

قد تسمع صلاتنا . وعلى أية حال فان هذه الامكانيات التي ينطوي عليها الانسان دون غيره ، فيما نعلم ، هي التي تجعل نوعنا جديرا بالبقاء .

القنبلة الذرية

مترجم

ان العصر النووي الذي يعيش فيه الجنس البشري ، والذي قد يموت فيه سريعاً ، بدأ بالنسبة للجماهير العالمية باسقاط قنبلة ذرية على هيروشيما في ٦ آب من عام ١٩٤٥. بيد أنه كان معروفاً بالنسبة لبعض العلماء ، وبالنسبة لبعض السلطات الاميركية قبل ذلك بمدة بأن من الممكن (صنع) سلاح من هذا الطراز . وقد شرعت الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا بالعمل لايجاد هذا السلاح بعد بداية الحرب العالمية الثانية بوقت قصير . ولكن وجود قوى متفجرة ممكنة في نواة الذرات كان من الأمور المعروفة منذ اكتشاف رذرفورد تركيب الذرة .

والذرة تتكون من قلب مركزي صغير يدعى بالنواة . ويحيط بهذه النواة الكترونات تدور حولها . وفي ذرة الهيدروجين التي تعد أبسط وأخف الذرات جميعاً الكترون واحد . أما الذرات الاثقل ، فانها تتدرج في زيادة عدد الالكترونات بنسبة متصاعدة. واكتشاف النشاط الأشعاعي كان أول اكتشاف يتعلق بما يجري في النواة ، وينجم هذا النشاط الاشعاعي عن الجزئيات التي تقذفها النواة خارج نطاقها . ولقد كان معروفاً ان النواة تختزن قدراً كبيراً من الطاقة (من عقالها) ، ولكن لم يكن ثمة طريقة حتى بداية الحرب العالمية الثانية لاطلاق هذه الطاقة بكميات وافرة . ثم حدث اكتشاف ثوري (يثبت) بأن من الممكن ، في ظروف تحويل الكتلة او المادة الى

طاقة وفقاً لدستور اينشتاين الذي ينص على أن الطاقة المتولدة تساوي الكتلة او المادة المفقودة مضروبة في مربع سرعة الضوء . وابسط مثال على ذلك العلاقة القائمة بين الهيدروجين والهليوم . فذرة الهليوم تتكون من أربع ذرات هيدروجين ، ولذا يمكن للمرء ان يتوقع بأن تكون كتلة ذرة الهليوم مساوية لأربعة أضعاف كتلة ذرة الهيدروجين . وليس الأمر كذلك لأننا اذا اعتبرنا ذرة الهليوم في كتلتها مساوية لأربعة ، فاننا سنجد بأن كتلة ذرة الهيدروجين لاتساوي واحداً فقط بل (١٫٠٠٨) فاذا اتحدت أربع ذرات هيدروجين لتؤلف ذرة هليوم واحدة ، انطلق الفائض كطاقة ولم يعد موجوداً ككتلة (مادية) . وهذا هو سر حرارة الشمس ، لأن الشمس مصنع لانتاج الهليوم . وهذا هو ما يحدث تماماً حينما تتحد عناصر أخف لتكون عناصر أثقل منها ، وهذا التفاعل يدعى (بالاندماج) وهو التفاعل المستخدم في القنبلة الذرية .

اما القنبلة الذرية فتستخدم بطريقة أخرى ترتكز الى النشاط الاشعاعي وفي هذه الطريقة التي تدعى (بالانشطار) ، تنشطر ذرة ثقيلة الى ذرتين خفيفتين . وهذا الانشطار في المواد المشعة يجري بصورة عامة بمعدل ثابت وهو معدل بطيء حين يتعلق بالمواد الموجودة في الطبيعة . ولكن هناك شكلا واحداً من اليورانيوم يدعى « يو ٢٣٥ » الذي يسبب عندما يكون صافياً ، سلسلة من التفاعلات التي تنتشر كالنار ، وان كان انتشارها أشد اطراد بكثير . تلك هي المادة التي استخدمت في صنع القنبلة الذرية . كان هناك عدد من المصاعب التي يتعين تذليلها ، واول هذه المصاعب هو « يو ٢٣٥ » عن اليورانيوم العادي ، الذي شكل جزءاً

صغيراً منه فقط . وقد قام الخائن فخس Fuchs بعمل ثمـين في المضي بهذه العملية . ومن الحقائق الساخرة أنه لو اكتشفت خيانته في وقت أبكر ، فان القنبلة الذرية ، لم تكن لتنجز في الوقت المناسب ، لكي تستخدم ضد اليابانيين .

لقد كانت حقيقة احتمال صنع هذه القنبلة واضحة لعلماء الفيزياء النووية منذ اكتشاف سلسلة التفاعلات قبل بداية الحرب العالمية الثانية وعلى الرغم من جميع المحاولات التي احاطتها بالسرية ، فان العديد من الناس كانوا يعلمون ان العمل في صنعها بدأ .

ان الخلفية السياسية لعمل علماء الذرة ، كانت اصرارهم على هزيمة النازيين . فقد ساد الاعتقاد ــ واظنه على صواب ــ بأن احراز النازيين للنصر سيكون كارثة مفجعة . كما اعتقد في البلدان الغربية ايضاً ان الالمان لابد ان يكونوا على وشك صنع قنبلة ذرية ، وانهم اذا ما نجحوا في صنعها قبل الغرب ، فمن المحتمل أن يكسبوا الحرب . وعندما انتهت الحرب ، اكتشف العلماء الاميركيون والبريطانيون بكثير من الدهشة ان الالمان لم يكونوا قريبين من النجاح في مقاييسهم ابداً . وكما يعلم الجميع فقد هزم الالمان قبل ان يصنع أي سلاح نووي . بيد أنني لا أعتقد ان علماء الذرة في الغرب يمكن ان يلاموا بسبب اعتقادهم ان العمل في صنع القنبلة كان ملحاً وضروريا ، فحتى اينشتاين كان من هذا الرأي . ومع ذلك ، فعندما انتهت الحرب الالمانية رأت الغالبية العظمى من هؤلاء العلماء الذين ساعدوا على صنع القنبلة الذرية انه يجب ان لاتستخدم ضد اليابانيين الذين كانوا على شفى الهزيمة ، ولم يشكلوا

على اية حال خطراً على العالم كذاك الذي مثله هتلر . وقد قدم الكثيرون منهم مذكرات عاجلة الى الحكومة الامريكية يطالبون فيها بدلاً من استخدام القنبلة كسلاح في الحرب ، فان على الحكومة ان تذيع بيانا عاماً بتفجيرها في الصحراء ، وان السيطرة على الطاقة النووية يجب ان توضع بين أيدي سلطة دولية . وقد قدم سبعة من أقدر علماء الذرة البارزين مايعرف بتقرير فرانك الذي قدموه الى وزير الحربية في حزيران عام ١٩٤٥ . وهذه وثيقة تثير الكثير من الاعجاب وتدل على بعد النظر ، ولو ان هذه الوثيقة حظت بموافقة السياسيين ، فان ايا من الكوارث لم يكن ليحدث . وتشير الوثيقة الى ان « النجاح الذي احرزناه في تطوير الطاقة النووية يثير اخطاراً عظيمة لاحدود لها ، وتفوق جميع المخترعات التي تمت في الماضي » ، ويستمر التقرير مشيراً الى انه لايوجد سر يمكن الاحتفاظ به لأي وقت من الزمن ، وان روسيا سوف تكون بالتأكيد قادرة على صنع القنبلة الذرية خلال عدد محدود من السنين . والواقع ان روسيا قد احتاجت الى اربع سنين تقريباً بعد هيروشيما للتوصل الى صنع القنبلة . ان خطر سباق التسلح قد بين بشكل اكدته السنوات اللاحقة على نحو مفزع . فقد قال التقرير « اذا لم يتوصل الى اتفاقية دولية محكمة فان سباق التسلح النووي سوف يبدأ على نحو لايعرف الكلل في وقت لن يتعدى صباح اليوم الذي يعقب اول تجربة تدل على وجود الاسلحة النووية . وبعد هذا ربما يستغرق الدول الاخرى ثلاث او اربع سنوات لكي تسبق البداية التي بدأنا بها . وتمضي الوثيقة لتقترح وسائل

للرقابة الدولية ، ثم تخلص الى انه « اذا كانت الولايات المتحدة ستكون الدولة الاولى التي تستخدم هذه الوسيلة الجديدة للخراب الشامل ضد الجنس البشري ، فانها ستخسر التأييد الشعبي لها في العالم ، وتعجل بسباق التسلح وتعرقل احتمال التوصل الى اتفاقية دولية حول الرقابة على مثل هذه الاسلحة . ان هذه الوثيقة لم تكن تعبيراً منعزلاً عن الرأي ، فقد كان هذا الرأي منتشراً بين اغلبية اولئك الذين عملوا على صنع القنبلة . فقد تقدم نيلز بوهر Niels Bohr بعد اينشتاين ، ابرز علماء الفيزياء في ذلك الوقت ، من كل من تشرشل وروزفلت بنداءات صميمية بنفس المعنى ، الا ان ايا منهما لم يعر الامر اي التفات . وعندما توفي روزفلت وجدت رسالته على طاولة روزفلت دون فض . وقد عرقلت مساعي العلماء حقيقة انه كان يفترض فيهم الا يكونوا من هذا العالم ، وان يكونوا فاقدين للاتصال مع الواقع وغير قادرين على اصدار الاحكام الواقعية ، على العكس من السياسيين . ومع ذلك ، فقد اكدت التجربة التالية كل ماقالوه ، وبينت انهم هم وليس الجنرالات والسياسيين ، كانوا يملكون المعرفة الداخلية لما كان يحتاج اليه .

وبعد كارثة هيروشيما ، اصدر علماء الذرة الغاضبون نشرة شهرية باسم « نشرة علماء الذرة » استمرت حتى الآن في تقديم وجهة النظر المتعلقة حول الاسلحة والحرب الذرية .

ولقد عبرت عن وجهة النظر التي كانت مماثلة في حقيقتها لتقرير فرانك الذي لم أكن قد اطلعت عليه ، في خطبة لي في مجلس اللوردات

يوم ٢٨ تشرين الثاني عام ١٩٤٥ . وسأورد النص الكامل لخطابي باعتبار انه لم يظهر الا في تقارير مجلس اللوردات [١] :

« أيها اللوردات : انني اخاطبكم بكثير من الاستحياء ، لانني سبق ان حدثت مجلسكم الموقر مرة ، ولانني بعد ان استمعت الى المناقشات التي جرت يوم أمس واليوم ، اشعر ان لدى الخطباء الاخرين عشرة اضعاف مالدي من المعرفة السياسية وعشرين ضعف مالدي من التجربة . وانه لايوجد من داع لحديثي على الاطلاق . وفي الوقت نفسه ، فان الموضوع الذي سأقتصر بملاحظاتي عليه ، واقصد بذلك القنبلة الذرية وتأثيرها على السياسة ، هو من الاهمية بمكان ، وتثقل على ضميري وفكري بحيث انني اشعر انني مضطر تقريباً لأن اتحدث حول معنى القنبلة الذرية بالنسبة لمستقبل الجنس البشري .

وارغب في ان ابدأ ببضع نقاط تكنيكية اعتقد انها مألوفة لدى الجميع . واول هذه النقاط أن القنبلة الذرية بطبيعة الحال ماتزال في اول مراحل عمرها ، وانه من المؤكد انها ستصبح بسرعة فائقة ، اشد تدميرا واقل كلفة بكثير . ثم ان هناك نقطة اخرى اثارها البروفسور اوليفانت Oliphant وهي انه لن يكون من الصعب جدا ان ننشر بالمواد المشعة ، التي ستقضي على كل شيء ، في مساحة واسعة من الارض ، ستقضي ليس على المخلوقات الحية فحسب . وانما على كل حشرة وعلى كل نوع من انواع المخلوقات الحية . هناك نقطة اخرى ربما كانت تتعلق بالمستقبل البعيد الى حد ما . فكما تعلمون حضراتكم ، توجد

---

(١) هانسارد . التقرير الرسمي ، مجلس اللوردات ، الجزء ١٣٨ رقم ٣٠ الاربعاء ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٥ .

نظرياً طريقتان لتوليد الطاقة النووية . الأولى هي الطريقة التي أصبحت ممكنة الآن ، أي طريقة تحطيم نواتاً ثقيلة الى جزئيات ذات وزن متوسط وأما الطريقة الثانية فهي مازال غير مستخدمة بعد ، إلا أنها ستستخدم قريباً على ما أعتقد ، وأعني بها طريقة تركيب ذرات الهيدروجين لصنع ذرات أثقل ، ذرات الهليوم أو ربما ذرات النيتروجين . واذا ما امكن احداث هذا التركيب فسيحدث اطلاق اعظم بكثير للطاقة يفوق الطاقة التي تنتج عن تحطيم ذرات اليورانيوم وفي الوقت الحاضر لم يجر العمل بهذه الطريقة اطلاقاً ، إلا أنه يعتقد أنها تحدث في الشمس وفي داخل الكواكب الأخرى ، انها تحدث في الطبيعة فقط وبدرجة حرارة يمكن مقارنتها بتلك التي توجد داخل الشمس . ان القنبلة الذرية الراهنة تسبب لدى انفجارها درجات حرارة يعتقد أنها تماثل درجة الحرارة داخل الشمس. وعلى ذلك فانه من الممكن ان تستخدم ميكانيكية مشابهة للقنبلة الذرية الراهنة باحداث انفجار أشد عنفاً بكثير ، ويمكن التوصل اليه إذا ما أمكن تركيب عناصر أثقل من الهيدروجين . ان هذا كله ، لابد أن يحدث إذا استمرت حضارتنا العلمية في طريقها ولم تحطم نفسها : كل ذلك لابد أن يحدث . اننا لانريد ان ننظر الى هذا من وجهة نظر السنوات القليلة القادمة ، وإنما نريد النظر اليه من وجهة نظر مستقبل الجنس البشري . ان المسألة بسيطة .

هل من الممكن لمجتمع علمي الاستمرار في الوجود ، ام ان من المحتم ان يجر هذا المجتمع الخراب على نفسه ؟ ان هذا السؤال بسيط ، الا انه حيوي . ولست اعتقد ان من الممكن المبالغة في تقدير الشرور التي تكمن في استغلال الطاقة الذرية . فكلما ازرع الشوارع مارا بسانت بول والمتحف البريطاني ومجلسي البرلمان والمعالم الاخرى لحضارتنا ، ارى

بعين فكري رؤيا كابوسية ، ارى تلك الابنية وقد تحولت الى اكداس من الحطام تحيط بها الجثث من كل جانب . ان هذا المصير علينا مجابهته ، ليس في بلادنا ومدننا فحسب ، وانما في جميع انحاء العالم المتمدين ، كاحتمال محقوق الحدوث مالم يوافق العالم على ايجاد طريق لمحو الحرب . وليس كافيا ان نجعل الحروب نادرة الحدوث ، فانه يتعين ان نقضي على الحروب العظمى والخطيرة ، لان هذا المصير قمين بان يحدث اذا ما لم يتحقق ذلك .

ان مشكلة القضاء على الحرب مشكلة صعبة جدا بطبيعة الحال وليس لدى من رغبة في تسقط اخطاء اولئك الذين يحاولون معالجتها . فانا متأكد انني لااستطيع ان افعل مما يفعلون . انني اشعر ببساطه ان هذه مشكلة على الانسان ايجاد حل لها ، وإلا فان الانسان سينقرض وربما سيكون هذا الكوكب اسعد حالا دوننا ، على الرغم من اننا لانتوقع ان نشاطر هذا الرأي . ان الصعوبة الراهنة كما يعرف الجميع تكمن في العثور على طريق للتضامن مع روسيا لمعالجتها ، واعتقد ان ماحققه رئيس الوزراء في واشنطن ربما كان كل مايمكن تحقيقه في ذلك الوقت . ولست اعتقد انه كان ليفعل افضل مما فعل في ذلك الوقت . فانا لست احد اولئك الذين يحبذون الكشف فورا لروسيا عن العمليات التي تصنع بواسطتها القنبلة . واعتقد ان من الصواب وضع شروط لمثل هذا الكشف ، الا انني اشترط ان تسهل هذه الشروط التعاون الدولي ، والا يكون لها من هدف قومي . ان علينا نحن وامريكا الانسعى للحصول على مغنم لانفسنا ، ولكن اذا ماكنا سنفصح للروس عن السر ، فان ذلك يجب ان يكون على اساس وجود رغبة في التعاون لديهم .

وعلى هـذا الاساس ، اعتقد ان من الصواب أن نسمح لهم بان يعرفوا كل شيء عن الذرة باسرع وقت ممكن ، وذلك نظرا لان السران يظل سرا لوقت طويل . ففي غضون عدد من السنوات ، سيحصل الروس دون ريب على قنـابل بمثل مستوى تلك التي تصنع الان في الولايات المتحدة . اذا فالمسألة وقت قصير جدا ، يمكننا ان نستخدم خلاله هذه النقطة للمساومة ، اذا كانت نقطة مساومة فعلا . ان رجال العلم ، كما تعلمون ياأصحاب السيادة ، اولئك الذين يقومون بهذا العمل ، تواقون الى قصى الحدود للكشف عن هذا العمل في الحال . ولست اوافق على ذلك كليا للاسباب التي عرضتهـــا . الا انني اعتقد ان بالامكان استخدامهـــا كوسيلة للحصول على تعـاون اشد اخلاصـا واحكامـــا بيننا وبين روسيا . وانني لاجد نفسي أؤيد من كل قلبي ماقاله وزير الخارجية في خطبه . انني لاأعتقد أن الطريقة التي يمكن بواسطتها ضمان تعاون الروس تكمن فقط في الاعراب عن الرغبة في التعـاون ، فانا اعتقد ان من الضرورة بمكان ان نكون حازمين فيما يختص بما نعتبر انه مصالـح حيوية لنا . واعتقد انه لمن المحتمل اكثر أن تحصلوا على تعاون اشد حقيقة ، نتيجة لوجود شيء من الحزم اكثر مما يمكن ان تحصلوا عليه بالاكتفاء بالتوجه اليهم واستجداء تعاونهم . انـــني اتفق كلياً واللهجـة التي استخدمها وزير الخارجية في بحثه حول هذه القضايا .

ان علينا كما اعتقد وآمل – ولست اعتقد ان هذا الأمل وهمي – ان نجعل الحكومة الروسية ترى ان استخدام وسائل الحرب هذه تعني

الدمار لها وللجميع . ان علينا ان نأمل اننا قد نتمكن من جعلهم يرون في ذلك مصلحة انسانية كونية ، وليست مصلحة تختلف عليها الدول . ولست اشك في انه اذا ماعرض الامر عليهم بطريقة مقنعة فانهم سيفهمونه . ذلك انه ليس من الصعب فهم الامر ، كما انني لا استطيع ان املك نفسي من الاعتقاد بان لديهم من الذكاء مايكفي للفهم في حال فصل الامر عن السياسة والمنافسة . فهناك كما لايكف الجميع عن التكرار ، الكثير من الشك ، ولا يمكن تجاوز مواقف الشك الا بتوفر قدر كامل من الصراحة والتأكيد على ان هناك تلك الاشياء التي نعتبرها حيوية ، الا انه بالنسبة للنقاط الاخرى مستعدون كل الاستعداد لأن نتفهم دفاعكم عن الاشياء التي تعتبرون انها حيوية ، فاذا ماكان ثمة نقطة يعتبرها كل منا حيوية ، دعونا نحاول ايجاد تسوية بدلاً من ان يحاول كل منا تدمير الآخر ، الامر الذي لن يكون في صالح احد . انني لااستطيع الكف عن الاعتقاد في أنه لو شرح الأمر بطريقة صريحة كل الصراحة ، بطريقة غير سياسية ، فان الروس ان يكونوا اقل قدرة على رؤية الاشياء منا . ان هذا ما آمله على الاقل .

اعتقد ان بوسع المرء الاستفادة من العلماء بالنسبة لهذه القضية ، فهم يشعرون باقصى درجات عدم الارتياح ، ويشعرون بتأنيب الضمير ازاء ما فعلوه . انهم يدركون انهم اضطروا للقيام بما قاموا به ، إلا انهم لايحبون ذلك . انهم سيكونون في غاية الامتنان لو انهم كلفوا بمهمة يمكن ان يمنعوا بواسطتها ، بطريقة ما ، وقوع الكارثة التي تهدد الجنس البشري

واعتقد أنهم ربما كانوا أفضل قدرة على اقناع الروس من اولئك الذين يتصلون اتصالاً وثيقاً باللعبة . فان باستطاعتهم بأي حال من الأحوال الاجتماع بالعلماء الروس وربما التوصل الى مدخل نحو تعاون فعال . ان امامنا ، كما أعتقد ، بعض الوقت ، فالعالم في الوقت الراهن في مزاج من أنهكته الحرب ، ولست أعتقد أنه لغلو في التفاؤل الافتراض أنه لن تكون هناك حرب عظمى خلال السنوات العشر القادمة . وعلى ذلك فان لدينا بعض الوقت الذي يمكننا خلاله التوصل الى التفاهم المتبادل الضروري والفعال .

هناك صعوبة واحدة اعتقد انها ليست مفهومة من جانبنا دائماً الفهم الكافي وتلك الصعوبة تكمن في ان الروس يشعرون باستمرار — وهم محقون في ذلك — انه لدى نشوب أي صراع بين المصالح سيكون الروس في طرف والجميع في الطرف الآخر . انهم يشعرون ان روسيا تقف في طرف وتقف مقابلها دولتان أو أربع دول في الطرف الآخر . وعندما يراود هذا الشعور الأخرين فان علينا ، كما أعتقد أن نكون ليّنين بطريقة ما في مساومتنا معهم وألا نتوقع منهم الرضوخ للاغلبية ، وليس بوسعنا ان نتوقع ذلك ، عندما يشعرون أنهم يقفون وحدهم في الميدان . فليس ثمة من شك أنه يجب توفر الكثير من الدبلوماسية خلال السنوات المقبلة من أجل تحقيق تعاون دولي مستمر .

اني لا أرى أي بديل من الاقتراح المطروح أمام العالم والقاضي بجعل الأمم المتحدة تتحمل كافة المسؤوليات . إلا انني لا أعتقد أن هناك كبير أمل في تحقيق ذلك ، نظراً لأن الأمم المتحدة ، في الوقت الحاضر ،

ليست هيئة عسكرية قوية وقادرة على شن الحرب ضد قوى عظمى ؛ خصوصاً أن من سيملك القنبلة الذرية ، عليه أن يكون قوياً بما فيه الكفاية لمحاربة قوة عظمى . وحتى يمكن خلق منظمة دولية من هذا النوع ، لن ننعم بالأمان . ولا اعتقد ان ثمة من فائدة في توقيع اتفاقيات لمنع صنع القنابل الذرية ، ذلك انه ليس بالمستطاع ضمان تنفيذها حيث ان العقوبة التي يتحملها من يمتثل لهذه الاتفاقيات تفوق العقوبة التي يتحملها من يقوم بخرقها ، عندما يتعلق الأمر بالحرب . وعلى ذلك فلست أعتقد ان أية ترتيبات على الورق تنطوي على أية قوة في حد ذاتها على الاطلاق .

ان علينا قبل كل شيء ، خلق الرغبة في ايجاد رقابة واشراف دوليين على هذا السلاح ، وعندما توجد مثل هذه الرغبة ، سيكون من السهل ايجاد أداة التنفيذ . وأكثر من ذلك ، فحينما توجد تلك الأداة، حينما توجد هيئة دولية قوية وتكون المشرف الوحيد على استخدام الطاقة النووية ، فان ذلك سيؤدي الى خلق نظام يحافظ على البقاء ، ويمنع بشكل فعال نشوب حروب عظمى . كما انه ستنشأ أعراف تعتمد العمل السياسي ، فيمكننا أن نأمل عند ذلك في أن تختفي الحرب من عالمنا . وهذا بطبيعة الأمر تنظيم بالغ الضخامة ، إلا أن هذا هو ما يتعين علينا جميعاً أن نجابه : فاما أن توقف الحرب أو يمحق الجنس البشري المتمدين ، باستثناء بقايا حفنة من البشر الذين ينتشرون خارج المدن ، والذين يبلغ بهم البعد عن الحضارة والعلم حداً لايسمح لهم بصنع أدوات الدمار هذه . ان الشعب الوحيد الذى سيكون غاية في اللاعلمية بحيث

يفعل ذلك ، سيكون ذلك الشعب الذي فقد جميع تقاليد الحضارة ، وتلك كارثة رهيبة الى حد تجعلني أعتقد ان جميع حدود العالم المتحضرة قمينة بادراكها . وأعتقد انه من الممكن جعل هذه الدول تدرك الأمر قبل فوات الأوان . وفي جميع الأحوال آمل ذلك من كل قلبي » .

وفي ذلك الوقت عندما كان الرأي مايزال أقرب الى الاعتدال ، استمع مجلس اللوردات الي باستحسان ، كما لاحظت ، وكان هذا الاستحسان والتأييد مشتركاً بين جميع الأحزاب . ولسوء الحظ ، جاءت الأحداث المتلاحقة لتضع نهاية لهذا الاجماع . أما بالنسبة لي ، فلست أرى ما يجعلني اتخلى عن ما سبق وصرحت به .

وعلى الرغم ان حكومة الولايات المتحدة لاتستطيع ان تنكر على نفسها الاستمتاع بمتعة عرض قواها الجديدة ، قوى التدمير الجماعي ، حاولت فعلاً بعد استسلام اليابان ان تنظر بعين الاعتبار لبعض الافكار التي سبق لعلماء الذرة ان اقترحوها . ففي عام ١٩٤٦ قدمت للعالم ما دعته آنذاك بخطة باروش ، التي كانت تتمتع بمزايا عظيمة جداً أو تنطوي على قدر معتمد به من الايجابية ، باعتبار أن امريكا كانت ماتزال تحتكر بمفردها الميدان النووي . لقد اقترحت خطة باروش اقامة هيئة دولية للتطور الذري يعهد اليها باحتكار استخراج اليورانيوم والثوريوم وتنقية الفلذات وامتلاك المعادن وانشاء وتسيير المصانع اللازمة لاستخدام الطاقة النووية . واقترح آنذاك أن تؤسس هذه السلطة من قبل الأمم المتحدة ، وان تزودها الولايات المتحدة بالمعلومات ، باعتبار أنها كانت المالكة الوحيدة للذرة . ولسوء الحظ كانت هناك بعض الجوانب في

اقتراح باروش وجدتها روسيا غير مقبولة . وهذا ما كان متوقعاً فعلا . لقد كانت روسيا الستالينية آنذاك مليئة بالفخر من انتصارها على الالمان، وبالشك (الذي لم يكن دون سبب) ازاء الدول الغربية ، كما كانت مدركة انها يمكن في معظم الاحوال ألا تنال اغلبية الاصوات في الامم المتحدة . ان خلق سلطة عالمية ، سلطة تشكل ضرورة بادية اذا كنا نريد اجتناب نشوب حرب نووية ، كانت تقابل دائماً بالاعتراض من جانب روسيا ، باعتبار انها تعني تدعيم الانظمة الاقتصادية والسياسية التي تعتبرها العقيدة الشيوعية انظمة شريرة . فاذا شئنا اقناع روسيا بالقبول بوجود اي نوع من انواع السلطة الدولية ، فان من الواجب ان تكون هذه السلطة من النوع الذي لايعطي تفوقاً مطلقاً للقوى غير الشيوعية . وهذا مالم تفعله خطة باروش . وبالطبع كان بالامكان تعديل هذه الخطة بطريقة تلغي اعتراضات الروس ، الا ان الحكومة السوفيتية رفضت رفضاً قاطعاً ، مناقشة الخطة او بحث احتمال اي شيء من هذا القبيل ، وكانت لنتيجة ذلك ، حدوث تدهور في العلاقات بين روسيا والغرب ، وسرعان ما أصبح الرأي العام الامريكي في وضع يجعله لايقبل بتقديم اقتراحات مماثلة .

وعلى الرغم مما قاله العلماء العسكريين والسياسيين ، فقد ظلوا هم والشعب الامريكي مستمرين في الاعتقاد بان امريكا تمتلك سراً يمكن عدم وصوله الى روسيا بوقت طويل من الزمن ، وان امتلاك الولايات المتحدة وحدها الأسلحة النووية يضمن سلامة الغرب . وعندما تبين في آب ١٩٤٩ ، ان روسيا كانت تمتلك الاسلحة الذرية ايضاً ، ظن آنذاك ان الامر حدث بفعل الجواسيس والخونة ، على الرغم من

ان الحقيقة هي أن من المحتمل ان يكون هؤلاء قد اسرعوا في العملية بعض الشيء ، ولسوء الحظ ، فان الاعتقاد بان الخونة وليس المهارة الروسية هم الذين حرموا امريكا من احتكارها الذرة ، قد خلق جواً عاماً من الشك ودعم سيطرة مكارثي والذين يؤمنون بارائه ، ولم يظهر الساسة او الرأي العام في امريكا وروسيا او بريطانيا او فرنسا اية حكمة بعيدة المدى كما فعل العلماء . لقد كانت الكراهية تعتبر رديفاً للوطنية ، والترتيبات للحرب الحارس الوحيد للسلام . ووضع العالم في اتجاه خاطىء ولم يلبث في السنوات التي تلت ان اقترب اكثر فأكثر من الطريق المؤدي الى الكارثة .



القنبلة الهيدروجينية

لقد سببت القنبلة الذرية عندما كانت جديدة موجة من الفزع ، واثارت مقترحات حول وضع رقابة دولية على الطاقة الذرية . ولكن الناس سرعان ما اعتادوا عليها وبدؤوا يدركون ان الاذى الذي يمكن ان تسببه ليس كافياً لاشباع نهم العداوات المتبادلة . وقد تبين انه على الرغم ان القنبلة الذرية يمكنها ان تدمر المدن ، لاتستطيع القضاء على سكان المناطق الريفية المبعثرين . ومع ذلك ، فكلا الطرفين استقر عزمهما على العمل بجنون لاختراع سلاح اسوأ . وكان هذا السلاح الذي اخترعوه اخيراً القنبلة الهيدروجينية ، وليس واضحا بأي حال من الاحوال ما اذا كانت روسيا او اميركا الدولة الرابحة في السباق على هذا السلاح الجديد . وعلى أية حال ، كان هذا السباق غاية في الحدة . والقنبلة الهيدروجينية تزيد قوتها الف مثل تقريبا على القنبلة الذرية . وقد قدر الانفجار في بكيني انه يمكن ان يولد طاقة تعادل الطاقة المتولدة من ١٥ الى ٢٠ طن من مادة ت . ان . ت . الشديدة الانفجار . وقد اصبحت طاقته معروفة للعالم الغربي اثر تجربة بكيني في مطلع آذار ١٩٥٤ . وتجاوز هذا الانفجار جميع توقعات الاميركيين

الذين عدوا العدة له . ومن هنا تظل القنبلة الهيدروجينية اشد الاسلحة التي يملكها الطرفان تدميرا .

لقد سميت القنبلة الهيدروجينية بهذا الاسم خطأ ، باعتبار ان المادة الانفجارية فيها ماتزال تستخرج من اليورانيوم . ويتم الانفجار على مراحل ثلاث ، ويمكن المرء مقارنته باشعال النار بالورق والخشب والفحم : فاشعال الخشب اصعب من اشعال الورق واشعال الفحم اصعب من اشعال الخشب . وفي القنبلة الهيدروجينية هناك اولا ، كالقنبلة الذرية كمية من مادة (يو ٢٣٥) والحرارة التي تتولد عن انصهار (يو ٢٣٥) كافية لالتحام الهيدروجين مع الهليوم ، وتحيط بكل من مادة (يو ٢٣٥) والهيدروجين طبقة سميكة من اليورانيوم العادي . وتكفي الحرارة المتولدة عن التحام الهيدروجين بالهليوم لتفجير اليورانيوم العادي في الطبقة الخارجية . ويعود القسم الاعظم من الطاقة المتولدة عن انفجار القنبلة الهيدروجينية الى طبقتها الخارجية . فذرات اليورانيوم تنشطر الى ذرات اخف من انواع مختلفة معظمها مشع ومن وجهة النظر العسكرية ، يأتي تأثير القنبلة الهيدروجينية الاعظم من استخدام اليورانيوم العادي ، اواذا شئنا الدقة ، من استخدام اليورانيوم الذي تستخلص منه مادة (يو ٢٣٥) الثمينة . والحرارة الشديدة فقط هي التي تجعل من الممكن استخدام اليورانيوم العادي بهذه الطريقة .

ان الاذى الذي ينجم عن انفجار القنبلة الهيدروجينية لايقتصر على المكان الذي يحدث فيه انفجاره ، فالمواد الاشعاعية تندفع الى ارتفاع عظيم في الهواء تتوزع منه في الجو وتهبط تدريجيا مسببة امراضا قتالة للانسان ، كما تسمم المياه والخضراوات واللحوم ، ويدعى هبوط هذه

الذرات المشعة بالسقوط ، ومعظم النواة المشعة التي تحدث لدى السقوط من النوع الذي لايحدث في الطبيعة او يحدث نادرا جدا على اية حال . وقد اكتشفت الخواص المهلكة للغبار الذري عن طريق الصدفة لاول مرة ، فقد كانت سفينة صيد يابانية تحمل اسم التنين الحسن الطالع تقف خارج المنطقة التي اعتبرتها السلطات الاميركية منطقة الخطر . وحدث تغيرا مفاجئا في الريح غطى السفينةبالغبار المشع ، بحيث اصاب المرض جميع البحارة وتوفي احدهم . ان سقوط الغبار يزيد كثيرا من عدد الوفيات المتوقعة من انفجار قنبلة هيدروجينية .

ان ماسيحدث في حرب نووية تستخدم فيها القنابل الهيدروجينية مسألة خاضعة للجدل . فقد قدر وزير دفاع الولايات المتحدة عندما لخص تقريرا للبنتاغون في عام ١٩٥٨ ، انه اذا مانشبت حربا نووية بين حلف شمال الاطلسي وقوات حلف وارصو سيكون ضحيتها ١٦٠ مليون قتيل امريكي و ٢٠٠ مليون روسي وجميع سكان اوربا الغربية وبريطانيا ، وهناك من يخشى ان تكون مثل هذه التقديرات مثبطة لحماس اوربا الغربية وبريطانيا تجاه حلف الاطلسي . الا ان هذا ليس هو الواقع ، اذ يبدو ان رغبة غريبة وعسيرة على الفهم قد اجتاحت العالم الغربي ، والتقارير التي تتحدث عن الرعب الذي يمكن توقعه في حال نشوب حرب نووية لم تؤد الى اتخاذ اي عمل من قبل الحكومات العربية لمنع مثل هذه الحرب ، كما انها قد اثرت تأثيرا طفيفا على الرأي العام في هذا الاتجاه . وقد استجوب جيمس غافين Games Gavin الذي كان يشغل في ذلك الوقت منصب رئيس قسم الابحاث والتنمية في جيش الولايات المتحدة ، امام لجنة فرعية في مجلس الشيوخ الامريكي في ايار عام ١٩٥٦ . وقد

سأله السناتور د ف Duff بقوله : « اذا ما خضنا حربا نووية وشن السلاح الجوي الاستراتيجي هجوماً مسلحاً ضد روسيا استخدم فيـــه الاسلحة النووية ، بحيث تنفجر هـذه الاسلحة بطريقة تجعل الريح تحملهـا الى المنطقة الجنوبية الغربية من روسيا ، ماذا سيكون تأثير ذلك من ناحية عدد الضحايا في ظل تلك الظروف ؟ » . وقد أجاب الجنرال غافين بقوله : « سوف اعطيك جواباً دقيقاً على هـذا السؤال يا سيدي ، إلا انني أحب ان أبين باحترام ان سلاح الجو او مجموعة مناسبة من الخبراء سيقدمون لك هذا الجواب . ان التقديرات الجارية تبين وفاة عدد من مئات الملايين وستعتمد هذه الوفاة على الطريقة التي ستهب فيها الريح ، فاذا ماهبت الريح بالاتجاه الجنوبي فسيجتاح معظمها الاتحاد السوفيتي ، على الرغم من انها ستصل الى اليابان وربما وصلت نزلا الى منطقة الفليبين » . واذا ما هبت الريح باتجاه اخر فستصل عائدة القهقرة الى اوربا الغربية [١] .

يبدو من هذا البيان ان مسألة ماذا كانت الضحايا الناتجة عن هجوم امريكي على روسيـا ستصيب الروس او الاوربيين الغربيين تعتمد على اتجاه الريح . وقد كان بيان الجنرال غافين اشد امانة من ان يرضي السلطات التي سرعان ماجردته من ثقتها .

ان مسألة البقاء في حرب نووية ، مسألة خاضعة للجدل ، فامثال هرمان كاهن Herman Kahn كما في كتابة الضخم عن الحرب النووية املا منه في حث السكان على اجتناب مجزرة مقبلة ، يؤكد انه بواسطة المخـابىء الشديدة العمق سيكون من الممكن انقـــاذ جزء كبير من

(١) نشرة علماء الذرة رقم ١٢ ، صفحة ٢٧٠ ، ١٩٥٦

السكان . كما يؤكد كاهن ان على الولايات المتحدة ان تنفق ثلاثين مليونا من الدولارات على شؤون الدفاع المدني (ص ٥١٧) ، بيد انه لايتوقع ان هذا المقدار من النفقات سيصرف في الواقع . ودفاعه عن اعتقاده بانه سيمكن انقاذ الكثير من الارواح البشرية يصعد امام الفحص والتدقيق ، واعتقد ان مايمكن نوقعه فعلا جاء على لسان جون م . فولر John. M. Fowler في كتابه Fallout (ص ١٧٥) : « ان مخلوقا او اسرة ذكية وماهرة ، وتعيش خارج حلقة الخراب الكامل وبعيدا عن مظلة الغبار الذري المتساقط ، قد تنجو خلال الاسابيع الكابوسية الاولى . وبالذود بجدران القبو او الاختباء في زاوية داخل مخبأ يمكن لفرد ان يعيش ، على الرغم من ان الخارج سيكون فرنا من الموت الصامت » . وحتى ذلك من ناحية تسمم الاغذية والمياه واختفاء جميع وسائل المواصلات وتدمير المستشفيات وفقدان الاطباء ، يجب ان يعتبر في غير صالح التفاؤل . ان على المرء ان يدخل في الاعتبار ، ليس الموت الجسدي لبعض الذين سينجون بحياتهم بعد حرب نووية ، وانما الى اي درجة ستصل اليها صحتهم العقلية بعد حدوث صدمة عاطفية اعظم من اية صدمة اخرى مرت على اي مخلوق بشرى . انه لمن المتوقع ان العديد من الذين سيظلون على قيد الحياة ، اذا لم نقل اغلبهم ، سيصابون بالجنون وربما اصبحوا مصدر اذى وتخريب . وليست الحرب النووية المباشرة هي التي تسبب هذا الخطر وحسب ، وانما هناك الخطوات التي يقترحها دعاة الدفاع المدني . فبعض هؤلاء من امثال كاهن يعتقد ان قسما كبيرا من الامريكيين يمكن انقاذه . واعتقد ان هذه نبوءة متفائلة ، ولكن حتى اذا افترضنا انها كانت صحيحة فماذا سيكون

عليه الوضع العقلي لاولئك الذين سيدخلون اخيرا في عالم ميت ؟ هل من المحتمل ان تكون اية نسبة معتبرة منهم قادرة على القيام باعادة البناء التي تتطلب عملا و جهدا حيويين ، والتي سيكون الانقاذ مستحيلا دونها ؟ ان ماستكون عليه الحياة في المخابىء قد صور بشكل زاه في كتاب لم يتلق الرواج الذي يستحقه : المستوى ٧ Level 7 بقلم مورخاي روشوالد .

ان لمن المحتمل ان ثمة شعاعا واحدا من الامل ، هو ان الغبار الذري يميل الى عدم اجتياز خط الاستواء ، واذا ما اقتصرت الحرب بشكل رئيسي على نصف الكرة الشمالي ، فان امبراطورية العالم يمكن ان ينعقد لوائها لحكومة جنوب افريقيا الآن . وهذا سيلاقي الترحيب دون شك على اساس انه نصر « للعالم الحر » .

هناك اشياء معينة واضحة لكل من اخذ الاخطار بعين الاعتبار : اولا ، اهمية الاسراع بنزع السلاح النووي . ثانيا ، اهمية التوقف عن اجراء التجارب النووية . ثالثاً ، الخطر الكامن في السياسة الراهنة المبنية على الرد الفوري . رابعاً ، منع انتشار الاسلحة النووية وحيازتها من قبل الدول التي لما تمتلكها بعد . وعلى الرغم أن ضرورة اتخاذ عمل ما حيال هذه المسائل الأربع ، ضرورة معترف بها عالمياً ، فانه لم يتوصل الى شيء بالنسبة لأي من هذه المسائل التي سأتحدث عن كل منها باقتضاب .

ان مؤتمرات نزع السلاح قد انعقدت عدة مرات بشكل يبعث على السأم . وليس هناك تكتيك مستمر في هذه المؤتمرات . فكل جانب تواق للادعاء بانه يفضل السلم ، وكل جانب على ذلك يقدم مقترحات

يمكن أن تكون لها فوائد جمة إذا ما عمل بها ، إلا أن كل جانب يحرص على أن يتضمن اقتراحه شيئاً من المؤكد ان يعترض عليه الطرف الآخر : وليس ثمة من طرف راغب في البحث عن تسوية معقولة ، باعتبار أن مثل هذه التسوية ستعتبر نوعاً من الضعف . وقد حدث مرة في عام ١٩٥٥ ان أقلع الغرب فجأة ، اقلاعاً تاماً عن تطبيق هذا الاسلوب ، فقد قدم مقترحات رائعة لنزع السلاح ، فما كان من الاتحاد السوفييتي ان قبل بهذه المقترحات ، بينما سارع الغرب بسحبها بعد أن أصيبت الحكومات الغربية بفزع . ان تفاصيل هذه القضية يمكن قراءتها في كتاب فيليب نويل بيكر Philip Noel - Baker المسمى « سباق التسلح » . وأعتقد أن كل من يقرأ هذا الكتاب سيضطر للاستنتاج أن لا الشرق ولا الغرب يرغب بصدق في نزع السلاح ، وان كلا من الجانبين مهتم فقط بايجاد طرق للاعلان عن رغبته في نزع السلاح دون محاولة للتطبيق .

ان الغاء التجارب النووية كان موضوع مفاوضات طويلة ، كان ينظر اليها عادة وكأنها يمكن ان تنجح ، ولكن جانباً أو آخر كان يقدم دائماً ما يجعل التوصل الى اتفاق أمراً صعباً ، وما يزال من الممكن التوصل الى اتفاق ، إلا أنه لايمكن القول أن المستقبل يبعث على الأمل . ان اللوم يقع على الاتحاد السوفييتي بشكل رئيسي بسبب هذا الاخفاق .

ان أهمية الغاء التجارب النووية مزدوجة . فمن جهة سيؤدي الغاء التجارب النووية الى جعل انتشار الاسلحة النووية وحيازتها من قبل دول جديدة أشد صعوبة ، ومن جهة أخرى سيضع حداً لشرور الغبار الذري طالما ظل السلم سائداً . وللغبار الذري انواع مختلفة ، وربما كان سترونيوم

٩٠ وكاربون ١٤ أشد هذه الانواع اهمية ، فهما يشتملان على غبار مشع تحمله الامطار أو الرياح أو يهبط بفعل الجاذبية الأرضية . وهذا الغبار يسبب مآس متنوعة من أشدها خطراً سرطان العظام وتشوه الجسم وتخريب خلاياه . وباعتبار ان هذه الامراض تتكرر عادة ولاسباب مختلفة ، فمن المستحيل القول بالنسبة لقضيه معينة ان سقوط الغبار الذري هو السبب . بيد أن الجميع باستثناء بعض الجهات التي لها مصلحة خاصة ، يوافقون على ان التجارب الذرية التي حدثت حتى عام ١٩٥٨ ، زادت من عدد الوفيات بالسرطان وعدد الولادات المشوهة . وتنفق الحكومات قدراً معيناً من المال على البحث العلمي الذي يستهدف منع السرطان ، إلا أنها تنفق مبالغ اكبر بكثير على التسبب في السرطان . أما بالنسبة لأثر الغبار الذري على السلالات فساقتطف رأي اختصاصي أمريكي مرموق في علم الوراثة ويدعى ا. ه. ستورتفانت A. H. Sturtevant فهو يؤكد قائلاً : « ليس هناك مفر من التوصل الى نتيجة مفادها أن القنابل التي فجرت حتى الآن ستؤدي في نهاية الأمر الى ولادة عدد كبير من الاطفال المشوهين ، إذا ما قيض للجنس البشري نفسه أن يعيش عدة اجيال ... انني لا أشعر بالاسف ازاء اعلان موظف مسؤول كالادميرال شتراوس Admiral Strauss يشغل مركزاً كبيراً ، انه لايوجد خطر بيولوجي من الكميات المنخفضة من الاشعاع العالي الطاقة » .

ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى اعلن الاستاذ نفسه في اجتماع عام أن حوالي ١٨٠٠ طفل ولدوا في عام ١٩٥٤ ، عام تجربة القنبلة ، أصيبوا نتيجة للدرجة العالية من الاشعاع الذي نتج عنها . وفي العام

نفسه أعلن عالم حيوان أمريكي هو كيرت شتيرن Curt Stern ان « جميع افراد هذا العالم يحملون في اجسادهم الآن كميات صغيرة من الاشعاعات من اثر التجارب الهيدروجينيـة الماضية . فالسترونيوم الحار يوجد في العظام والاسنان ، واليود الحار في الغدد الدرقية .[1]

انه لمن الغريب والمثير لاقصى درجات الاسى أن نلاحظ كيف أن سباق التسلح يدمر الحس الاخلاقي . فانا لو تسببت عمداً باصابة شخص بالسرطان وجب ان اعتبر وحشاً ، غير انني اذا ما تسببت عمداً باصابة آلاف الناس بالسرطان اعتبرت وطنياً نبيلًا .

ان الاذى الذي تسببه القنبلة الذرية للجنس البشري ينطوي على رعب ، كونه اذى متوارث . فالشخص الذي يعاني أذى من هـذا النوع قـد يكون له أطفال أصحاء بفعل الصدمة ، إلا أنهم سيحملون معهم الجرثومة التي يظهر أثرها في أطفالهم . ان من المستحيل معرفة عدد الذين تأثروا بالتجارب التي اجريت حتى الآن ؟ والتقديرات التي نشرت يختلف واحدها عن الآخر تبعاً للآراء السياسية لأولئك الذين ادلوا بها ، إلا انه من المؤكد أنه حدث أذى جسدي ، ، وان مثل هذا الأذى في حرب نووية ، سيحل بعدد كبير من الاحياء . اننا لنلفت انتباه اولئك السادة الذي يجلسون بارتياح وهم يتأملون احتمال اجراء تفجيرات نووية ، نلفت انتباههم الى منظر عالم شبه خال من السكان ، يشتمل على اناس قادرين فقط على انجاب اطفال معتوهين أو مجانين .

ان مبدأ الرد الفوري الذي يدعو اليه الغرب ، ربما كان الشرق

---

(١) كتاب : اسطع من الف شمس ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

يتمسك به أيضا ، مبدأ توجد حجج قوية ضده من الناحية العسكرية .
فهو ينطلق من حقيقة مفادها ان هجوما غير متوقع على طريقة بيرل
هاربور ستكون له مزاياه الكبرى للطرف الذي يقوم بـه ، واذا لم
يصب الجانب الاخر بالشلل الكامل فان عليه الرد فورا قبل ان يدمر
على لانهوض بعده . ان كل طرف يعتقد ان الطرف الاخرقد يشن في
اية لحظة هجوما مالم يسبقه استفزاز ، وكل طرف على ذلك ، مضطر
لان يكون في حالة استعداد مستمر للرد على المعتدي بهجوم معاكس .
اننا نعلم اكثر عما سيحدث في الغرب بهذا الاعتبار مما سيحدث في
الشرق : فالولايات المتحدة لديها شبكة واسعة من محطات الرادار تبحث
دائماً عن أية اشارة تدل على اقتراب اية قاذفة قنابل أو صاروخ سوفيتي .
وما أن يبدي الرادار مثل هـذا الاقتراب فان القنابل الهيدروجينيـة
الامريكية تبدأ بقصف روسيا . وكثيراً ما تحدث الاخطاء ، فطيران
الطيور الجارحة قد ظن خطأ أنـه صواريخ روسية ، لا بل ان القمر
الصناعي قد ظن خطأ على انـه صاروخ روسي أيضاً ، فاعطي الانذار
وبدأت قاذفات القنابل بالتحرك ، ومن هنا اكتشف الخطـأ وأعيدت
قاذفات القنابل . بيد أنه لايوجد ضمان ان اخطاء المستقبل سوف تكتشف
قبل فوات الاوان ، وانه اذا لم يحدث ذلك سينغمس العالم في حرب نووية
غير مرغوب فيها . ان هذا الاحتمال ليس واردا جداً الآن ، انه يزداد
قوة مع مرور الزمن ، ومع تصرم الشهور والاعوام التي يقال لنـا
خلالها بان نتوقع استمرار الحرب الباردة حيث يصبح الاحتمال يقينـاً
تقريباً . وطالما استمر مبـدأ الرد الفوري بالقنـابل الهيدروجينية

فاننا نظل على قيد الحياة خلال الحاضر أو في اية سنة في المستقبل بفعل الحظ لا أكثر . ان هذا هو أحد اشد الاسباب الحاحاً التي تجعلنا في صف نزع السلاح .

ان انتشار القنابل الهيدروجينية وحيازتها من قبل دول لما تحصل عليها بعد أمر غير مرغوب فيه باعتبار انه يزيد كثيراً من احتمال نشوب حرب نووية وعلى الرغم من أن هذا معترف به عالميا ، لا انه لم يحدث شيء فعال في هذا الخصوص فالولايات المتحدة هي التي كانت لديها الاسلحة النووية في الاصل ثم حصل عليها الاتحاد السوفييتي ثم بريطانيا العظمى ، وتبدو فرنسا الآن على وشك امتلاكها[1] . ولن يمضي وقت طويل قبل أن تمتلك الصين السلاح النووي[2] . وفي النهاية سيحصل عليه عدد كبير من الدول فاذا لم يفعل شيء في هذا المجال، فان الوقت ليس بعيداً عندما تزج دولتان صغيرتان العالم كله في حرب نووية . ولكن على الرغم من أن الجميع يعلمون هذه الحقيقة لم يتم شيء بهذا الخصوص .

والقنبلة الهيدروجينية هي أسوأ سلاح للتدمير الجماعي اخترع حتى الآن ، بيد انه من الواضح انه اذا ما استمرت الفوضى الدولية والمهارة العلمية معا ، فانه حتى الأسلحة الأشد خطراً سوف يتم اختراعها ، ربما في القريب

---

(١) فجرت فرنسا قنبلتها الذرية بعد صدور هذا الكتاب وكان ترتيبها الرابع بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا .

المترجم

(٢) اجرت الصين تفجيرها الذري الأول في تشرين الاول ١٩٦٤ وكان ترتيبها الخامس .

المترجم

العاجل ، لقد تردد الحديث عما يدعى بآلة القيامة . ان هذه الآلة ستكون قادرة في لحظة أن تدمر جميع سكان العالم ، وقد بين هرمان كاهن انه لو رأى الامر يستحق الاهتمام فانه من المؤكد تقريباً انه سيخترع مثل هذه الآلة ، غير انه لحسن الحظ لايعتقد ان من المرغوب فيه أن يفعل ذلك . ومع هذا فمن الواضح انه لو اصبح معلوما كيف يمكن صنع هـــذه الآلة ، فان دولة متعصبة قد تستخدمها اذا ما جابهت احتمالات الهزيمـة انني لا اشك في أن هتلر في أيامه الاخيرة كان سيفضل نهاية الانسان على عار الهزيمة .

وبالاضافة لآلة القيامة ، هناك احتمالات كثيرة يجب التفكير بها . فالحرب الكيماوية والجرثومية لاتعتبر في مثل الفعالية التي تنطوي عليهـا الحرب النووية ، الا ان جميع الدول الكبرى قد بذلت محـــاولات كبرى لاتقان صنع الاسلحة الكيماوية والجرثومية ، وقد تنجح قبل مضي وقت طويل . وهناك احتمال آخر يمكن تحقيقه تقريباً جدا وهو احتمال صنع مركبات فضائية تحمل قنابل هيدروجينية . فلنتخيل عالما تملأ سماءه المركبات الفضائية الروسية والامريكية التي تعود في كل يوم وكل منها قادر على إحداث مجازر رهيبة . هل ستكون الحياة فظيعة ، وهل يمكن احتمالها في ظل هذه الشروط ؟ هل ستكون الاعصاب قادرة على احتمالها ؟ أولن يؤدي إرهاق كوني من هـذا النوع من جعـل الناس يفضلون في نهاية الامر حدوث كارثة مفاجئة على حياة من الرعب في كل يوم وفي كل ساعة ؟ لست أعلم ماهية الفظائع التي تنتظرنا ، الا أنه لايوجد من يستطيع الشك في أنه مالم يتم إجراء جـــذري ، فان الانسان العلمي

محكوم عليه بالاعدام . هناك في هذا العالم الذي نعيش فيه ارادة فعالة ومسيطرة تتجه نحو الموت والدمار اللذين استطاعا حتى الآن وخلال كل ازمة السيطرة على التعقل . واذا ما أردنا أن نظل احياء فان هذا الوضع يجب ألا يستمر وسأحاول في بقية هذا الكتاب اقتراح طرق يمكن أن ننجو بواسطتها .





باترنك هنرى Patrick Henry وطني امريكي وصل الى مركز هام خلال حرب الاستقلال ، يذكر الان كثيرا بسبب عبارته القائلة : « اعطني الحرية او الموت » وقد اصبح هذا الشعار في افواه المناهضين للشيوعية يعني ان عالماً دون بشر أفضل من عالم شيوعي ومع ذلك فان لهذا الشعار كما عناه باتريك هنري مغزى مختلفاً بالمرة ، ذلك انه كان يدعو لقضية عادلة . وبسبب العداوة البريطانية لا يمكن لهذه القضية ان تنتصر دون فقدان ارواح امريكية ومن هنا فان موته قد يدفع بالحرية الى الامام . وفي مثل هذه الظروف من الصواب ان نوافق على هذا الشعار. ومع ذلك فعندما يستخدم هذا الشعار نفسه لتبرير حرب نووية فان الوضع يختلف جداً .

اننا لا نعرف ماذا سيكون حصاد حرب نووية ، قد تكون فيها نهاية الجنس البشري . وقد تنجو بعض الجماعات من المشردين الفوضويين في عالم فقد كل تماسك اجتماعي . وربما كانت النتيجة في افضل الظروف التي يمكننا تخيلها اقامة دكتاتوريات حكومية قاسية تفني جميع ضروريات الحياة . ويعترف هرمان كاهن Herman Kahn الذي يهتم بتبرير الحرب

النووية في بعض الظروف ، انها في افضل الأحوال ستؤدي الى مايدعوه « باشتراكية الكارثة » (ص ٤٣٨) . والشيء الوحيد الذي لا يمكن ان تؤدي اليه الحرب النووية هو الحرية التي ارادها باتريك هنري وما يدعي الرغبة به معجبوه العصريون .[1]

ان يموت المرء في سبيل قضية امر نبيل اذا ما كانت القضية عادلة ، وموت المرء كفيل بانتصارها . اما اذا ما كنت على يقين من ن موتك لن يؤدي الى انتصارها ، فان تصرفك لا يعبر الا عن التعصب . ومن الواضح ذلك بالنسبة لأولئك الذين يقولون ببساطة انهم يفضلون دمار الجنس البشري على حدوث نصر شيوعي ، او بالمقابل نصر الشيوعية فاذا ما افترضنا أن الشيوعية هي على قدر من السوء الذي يظنه الستالينيون المتعصبون ، فان نفس المناقشة تبدو واردة هنا . لقد مرت على التاريخ أنظمة طغيان كثيرة ، الا أنها لم تلبث ان اصلحت وازيلت بالوقت المناسب . ان التطوير ممكن ظالما استمر الانسان في العيش ، إلا أنه لا يمكن للشيوعية او لاعدائها بناء عالمهم فوق عالم من جثث .

او اولئك الذين يتحدثون عن « العـــالم الحر » وينشطون في اثارة الكراهية ضد الشيوعية ، يبدون في كثير من الطرق انهم ليسوا مخلصين جداً في سياستهم التي يدينون بها . فالحكومة البريطانية قد مضت اخيراً شوطاً بعيداً في ابداء صداقتها للبرتغال ، على الرغم ان البرتغال تخوض حربا وحشية ضد سكان انغولا من غير البيض . وافصحت الدول الغربية

---

(١) من السخرية بمكان ان اولئك الذين يميلون كثيرا للاستشهاد بباتريك هنري في موضوع الحرية ام الموت يعتبرون كل من يذكر التعديل الاول والخامس للدستور اللذين حققا بجهود باتريك هنري ، يعتبرونه خائنا .

في كوبا وغواتيمالا وغويانا البريطانية عن تصميمها على قمع رغبات السكان ما دام ذلك ممكناً وضروريا لابقائهم في المعسكر الغربي . وقد اصبح الدخول في الحزب الشيوعي مؤخراً جريمة يعاقب عليها القانون في الولايات المتحدة ، إلا في حال اولئك الذين يستطيعون ان يثبتوا انهم لم يعلموا ان الشيوعية مبدأ هدام . كل هذه جرائم ضد الحرية ، وبقدر ما يتأزم الموقف بقدر ما تعتبر هذه الجرائم مبررة في سبيل قضية الحرية .

ان في الغرب قـــدر اعظم من الاستيلاء على العقول ، والدعاوة المضللة التي تقوم بها السلطة مما هو معروف عادة . كما انه ليس معترفاً عليه ان كل هذه القيود تمحو الفرق بين الشرق والغرب ، وتجعل ادعـاء الغرب بانه العالم الحر يبدو محض افتراء .

فلننظر مثلا الى مسألة القواعـد الامريكية في بريطانيا ، كم من الناس من يعلم انه يوجد في كل منها مركز يحتوي على طيارين بامكانهم الاستجابة بانذار مفاجيء ، ويبلغ تدريبهم من الكفاءة حـدا يستطيعون معه أن يصبحوا في الجو خلال دقيقة او دقيقتين ؟ ان هذا المركز يعزل كلياً عن بقية المعسكر ولا يوجد اتصال مباشر به ففيه خدم وطباخون ومهاجع نوم ومكتبات ودور سينما خاصة بـه الخ ، كما يوجد حراس مسلحون ليمنعوا الامريكيين الآخرين في معسكر القاعدة من الدخول اليه . وفي كل شهر او شهرين يطير جميع من في المركز ، بما في ذلك القائد عائدين الى امريكا حيث يستبدلون بمجموعة جديدة . وهؤلاء العاملون في المركز الداخلي لا يسمح لهم بالقيام باية اتصالات تقريباً مع الامريكيين الآخرين في معسكر القاعدة . كما لايسمح لهم بالاتصال بأي من سكان المنطقة المجاورة .

ويبدو من الواضح أن الهدف من هذا كله كتم نشاط المركز عن البريطانيين والاحتفاظ لدى العاملين في المركز بتلك الاستجابة المحضة للأوامر والدعاوة التي تستهدف التدريب بأكمله . واكثر من ذلك فان الأوامر لهذه المجموعة لا تأتي من القائد وانما من واشنطن مباشرة . ومن هنا فالافتراض بانه لدى نشوب أزمة ما تستطيع الحكومة البريطانية ان تكون لها أية سيطرة على الأوامر المرسلة من واشنطن ، ضرب من الخيال . ومن الواضح انه في اية لحظة يمكن ان ترسل الأوامر من واشنطن قد تؤدي الى ضربات انتقامية من جانب القوات السوفيتية ، وافناء سكان بريطانيا في غضون ساعة

ثمة حادثة بالغة الاهمية وتصور قوة هذا الجهاز في امريكا ، وهي حادثة كلود اثرلي Claude Eatherly الذي اعطى الاشارة لالقاء القنبلة الذرية على هيروشيما . ان قضيته توضح ايضاً انه في العالم الحديث كثيراً ما يحدث ان في خرق القانون فقط يمكن للانسان ان ينجو من اقتراف جرائم شنيعة فهو لم يحط علماً بما سيكون عليه تأثير القنبلة ، وكان في غاية الرعب والفزع عندما اكتشف نتائج عمله وقد كرس نفسه خلال سنوات عديدة من العصيان المدني بهدف لفت الانتباه الى فظائع الاسلحة النووية ، وليفر من الشعور بالذنب الذي لابد ان يتملكه اذا لم يبادر للقيـــام بعمل ما . فقررت السلطات ان من الواجب اعتباره مجنونا وقام مجلس من اطباء النفس المعترف بهم بتصديق هذا الرأي الرسمي . لقد ندم اثرلي وشعر بالذنب الا ان تورمان لم يفعل ذلك . وقد اطلعت على عدد من بيانات اثرلي التي تشرح دوافعه ، وكانت جميع هذه البيانات تشهد بسلامة عقله ، بيد أن هذه هي القوة الدعائية

الكاذبة التي صدقهـــا الجميـع تقريباً بما فيهم أنا نفسي ، فاعتقدنا أن الرجل قد جن

ونتيجة لذيوع قضية اثرلي ، قام النائب العـام في واشنطن بالتدخل مؤخراً ، فنقل اثرلي الذي سبق الحجر عليه في مهجع شددت عليه الحراسة مدة نصف عام الى قسم من المستشفى حيث امكنه التمتع بامتيازات غير عادية ، وأخبر بانه سيتم الافراج عنه دون استجوابه مجـدداً ، في المستقبل القريب . ولم يفرج عن اثرلي ، الا أنه استطاع الفرار .

فلننظر مرة أخرى الى ما حدث في استجواب قامت به لجنة تابعة للكونغرس خاصة بالنشاطات المعادية لامريكا . فاذا ما حدث ان مثل أمامها رجل في أواسط العمر وكانت اللجنة تمقته ، فانه لابد أن يدور حديث كالتالي :

س ـ قبل ثلاثين عاماً عندما كنت طالباً، هل كنت تعرف أي شيوعي.

ج ـ نعم

س ـ هل ذكرت اسماءهم ؟

ج ـ لا (١)

ان التعس الذي يستجوب لابـــد أن يرسل عند ذلك الى السجن لمخالفته للكونغرس مالم يقرر بعد التفكير ان يحوز على احترام اللجنة

---

(١) هناك انطباع مفاده ان مثل هذا الاستجواب قد انتهى مع موت السناتور مكارثي . ولكن الامر يختلف عن ذلك . فآخر حادثة من هذا النوع حدثت في الرابع من نيسان ١٩٦١ عندما حكم على المغني الشعبي بيت سيجر Pete Seeger بالسجن مدة سنة واحدة بسبب تهمة كهذه .

بإعطائها اسماء أصدقائه . أو اسوأ من ذلك ، بإختراع اتهامات باطلة ضد أصدقائه . ان هذا الاجراء يفترض أن يكون مبرراً باسم الحرية .

ولست أقول ما قلته دفاعاً عن الاتحاد السوفيتي . فقد أبدى في هنغاريا والمانيا الشرقية احتقاراً كبيراً أو قسوة تجاه اولئك الذين كان يضطهدهم . كما لم يكن أشد براءة من النفاق ، من الغرب . فحكومة المانيا الشرقية التي أقيمت بالقوة العسكرية الروسية فقط تدعى بجمهورية المانيا الديمقراطية . إلا أن حقيقة كون الشرق قد ارتكب بعض الجرائم لا تعني براءة الغرب ، فالاعتقاد بالعصمة عن الخطأ يسود كلا الجانبين ، كما أن كلًا منهما بغيض قدر الآخر .

ان من فظائع الاسلحة النووية هي انها اذا ما استخدمت على نطاق واسع فستسبب اذى عظيما ، ليس للمتخاصمين فحسب وانما للمحايدين ايضاً . فلدى المحايدين اذا الحق الاساسي في الدفاع عن بقائهم عندما يحاولون منع نشوب حرب نووية . على انه مهما يكن لدى دولة ما من الحق في الحفاظ على شكل حكومتها في وجه المعارضة الاجنبية ، فانها لاتستطيع ان تزعم لنفسها وفق أي منطق عادل حق افناء العديد من الملايين في الدول التي تزعم في البقاء خارج النزاع فكيف يمكن القول انه بسبب كون العديد منا يشعر بالمقت تجاه الشيوعية فان لدينا الحق في افناء عدد لايحصى من سكان الهند وافريقيا الذين لايرغبون الا في ان يتركوا وشأنهم . هل يمكن القول بان هذه ديمقراطية ثم الا تعني الديمقراطية ان الدول غير الملتزمة يجب الا تقحم في النزاع على غير ارادة منها ؟

فلنعاين مشكلة برلين على سبيل المثال . انني الاحظ بازدراء ان كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد اعلنا عن استعدادهما للحرب النووية على ان يرضخا لحل لايرغبان فيه . ان مثل هـذه التصريحات التي تعني رعباً لايمكن للعالم اجمع الصفح عنها ، وتبدو مـبررة فقط باعتبارها نتيجة لميلودراما متبادلة بين الطرفين . ان الشر في الكرملين او في وول ستريت عقيدة اساسية يدعمها متعصبون من الجانبين ، ممـا يعميهم عن مصالحهم المشتركة . ففي حال قيام المفاوضات بـين الشرق والغرب ، لن يعتبر كل من الطرفين ، اذا ما كان في تمام عقـــله ، الآخر عدوا ، وانما ينظران الى القنبلة الهيدروجينية كعدو مشـترك لكل منهما . ان للشرق والغرب مصلحة مشتركة ، هي اجتناب الدمار لكل منهما ، الدمار الذي تهددهما به الاسلحة الحديثة ان كلا من الجانبين لايرى هذه المصلحة المشتركة بسبب العداوة المتبادلة ، ففي كل المفاوضات التي تجري بين الطرفين لاتوجد حقيقة لدى كل منهـما في التوصل الى اتفاق ، وانما اجتناب اي لعبة من لعب النصر الدبلوماسي يقوم بها الطرف الآخر .

ووراء هذه العداوة المتبادلة تكمن اهواء بشرية معينة في طليعتهـا الكبرياء والشك والخوف وحب السلطان . فالمفاوضون يعتـبرون ان لديهم سبباً في الشعور بالكبرياء عندما يقاومون حتى التنازلات المعقولة ، وفي هذا السلوك يجدون الدعم عادة من قبل الرأي العام في بلادهم . ان الشك لايمكن اعتباره بلا أساس في أي حال من الاحوال ، في الوقت الذي يظل المزاج الراهن على حالة بالنسبة للطرفين . ان الشك

يجعل كل طرف ينظر الى مايقوله الطرف الآخر على اساس انه ينطوي على فخ منصوب لمفاوضيه الابرياء ، فخ شيطاني يتجلى فيه مكر ودهاء الطرف الآخر . والخوف الذي لايعتبر في أي حال من الاحوال لاعقلانياً على ضوء الظروف الراهنة ، له اثر التسبب في ردود فعل لاعقلانية تزيد من الخطر الذي نخشى منه . تلك هي ظاهرة مشتركة في الحياة الخاصة يعرفها الاطباء النفسيون جيداً . ففي حالة الرعب ، لايفكر معظم الناس بعقل وانما يتصرفون بردود فعل يتضح فيها السلوك الحيواني . لقد كان لدي حمار اضعه في اصطبل ملحق بالمنزل وقد اندلعت النار في الاصطبل مرة ، فاحتجنا الى جهود عدة رجال اقوياء لانقاذه ، ولو ان الحمار ترك وشأنه ، اذا لبقي غير مكترث بما حدث ومات حرقاً ان وضع الدول الكبرى في الوقت الراهن مشابه لهذا كثيراً . وهذا ينطبق بشكل خاص على مسألة نزع السلاح . فكل طرف يشعر بالرعب من الاسلحة النووية التي يمتلكها الطرف الآخر ، ويبحث عن النجاة لزيادة تسلحه النووي ، وبالطبع يستجيب الطرف الآخر بزيادة جديدة في تسلحه والنتيجة هي ان كل الخطوات التي تتخذ للخلاص من الخطر النووي ، تزيد من حدة هذا الخطر . ان حب السلطان ، ربما كان دافعاً اقوى من الخوف في دفع الدول لاتباع سياسات لاعقلانية . وعلى الرغم من ان تبجح الافراد يعتبر دلالة على سوء السلوك ، فان التبجح القومي مثير للاعجاب بالنسبة لمواطني الدولة الذين يمارسونه على اية حال . وخلال التاريخ وجدت دول كبرى نفسها منقادة الى الكارثة ، بسبب عدم رغبتها بالاعتراف ان لقوتها

حدود . فقد كان غزو العالم الرغبة التي ادت الى سقوط دولة بعد اخرى . والمانيا الهتلرية هي احدث الامثلة على ذلك . واذا ماعدنا القهقرى بالزمن لرأينا امثلة عديدة أخرى ، نذكر منها نابليون وجنكيز خان واتيلا ، واولئك الذين يعتبرون الكتاب المقدس كتاباً تاريخياً موثوقاً به ، يمكن ان يعتبروا قابيل المثال الاول ، فلربما ظن انه بالقضاء على هابيل يمكنه السيطرة على الاجيال المقبلة . وعندما هدد خروشوف بمحو الغرب ، وقال دالاس « ربما نكسب الحرب الساخنة » تذكرت الامثلة الماضية التي تدل على حماقة مشابهة .

وانها لحماقة فعلا ، حتى لو نظرنا اليها من نقاط المصلحة الشخصية . فنشر الخراب والبؤس والموت في بلاد المرء ، وفي بلاد العدو ، عمل مجانين . واذا ما استطاع الشرق والغرب الكف عن العداء يمكنهما تكريس مهارتهما العلمية لرفاهيتهما الخاصة والعيش دون احتمال عبء الخوف الذي تسبب عن سخفهما وحسب . ذلك ان الشر يكمن في قلوب البشر ، وليست وسائل الرعب الضخمة التي صنعت الا دلالات واضحة على اهوائنا الشريرة ، كما لايوجد في العالم غير الانساني مجال للعداوة . ان المشكلة تكمن في عقول البشر وعن طريق تنوير عقولهم يمكن البحث عن العلاج .

هناك من يقول « ان الحرب جزء من الطبيعة البشرية لايمكن تغييرها . فاذا ما كانت الحرب تعني نهاية الانسان ، وجب علينا الاذعان والخضوع » . هذا القول يردد دائماً من قبل اولئك المرائين . فمما لاينكر ان ثمة شعوب ودول يجتذبها العنف ، الا انه ليس بصواب

ان كل ماتفعله الطبيعة البشرية يستحيل كبح جماحه كالشعوب والدول . فالافراد الذين يميلون للقتل يكبح جماحهم القانون الجنائي ، ومعظمنا لايجد الحياة غير محتملة لانه غير مسموح له بارتكاب جرائم القتل . وهذا ينطبق على الدول ايضاً مهما كان تجار الحروب غير مبالين للاعتراف بذلك . ان السويد لم تخض حرباً منذ عام ١٨١٤ ولم يبد أي من السويديين الذين اعرفهم مايدل على المعاناة بسبب وجود غريزة هجومية لم تعبر عن نفسها بسبب عدم وجود الحرب . ان هناك اشكال عديدة من المنافسة السلمية التي يجب الا نستهين من شأنها ، وفيها يمكن ان تجد غرائز البشر القتالية متنفساً لها . والمنازعات السياسية في دولة متمدينة كثيراً ماتثير المشكلات نفسها التي يمكن أن تؤدي للحرب اذا ماكانت بين دول مختلفة . والسياسيون الديمقراطيون يشبون وهم معتادون على الحدود التي يفرضها القانون . وهذا ينطبق أيضاً على المشكلات الدولية اذا ما أوجدنا الأداة السياسية القمينة بفض النزاعات واذا ما اعتاد البشر على احترامها . ولم يمض وقت طويل على الزمن الذي كانت فيه النزاعات الخاصة تحل عن طريق المبارزة ، كما أن أنصار المبارزة كانوا يعتبرون الغاءها منافياً للطبيعة البشرية . وقد نسوا ، كما ينسى انصار الحروب الآن ، ان مايدعى بالطبيعة البشرية هو - بشكل رئيسي - نتيجة للعرف والعادة والتربية ، وان ثمة جزءاً صغيراً جداً من البشر المتمدينين يحتفظ بغرائز بدائية . ان الحرب ستصبح لامعقولة قدر لامعقولية المبارزة بالنسبة لنا ، اذا ما أمكن للعالم العيش عدة اجيال دون حروب . ولا ريب في أنه سيكون هناك مجانين محبين للقتل ،ولكنهم لن يكونوا رؤساء للحكومات بعد الآن .

العلماء والقنبلة الهيدروجينية

هناك انطباع شائع بين القسم الأعظم من الناس ، مفاده ان العلماء هم الملومون اخلاقياً بسبب الرعب الذي تعرض الاسلحة النووية العالم له. وهناك بعض العلماء الذين يمكن ان يوجه اليهم بحق جانب من اللوم . وهم أولئك الذين تستخدمهم الحكومات في صنع الأسلحة النووية ، أو في الابحاث المؤدية الى صنعها . بيد أن هناك اغلبية كبرى من العلماء البارزين الذين فعلوا ما بوسعهم لمجابهة الخطر النووي . وقـــد منع السياسيون والصحافة والعامة جهود العلماء من ان تصبح معروفة على نطاق واسع. واحاول في هذا الفصل ان اقول شيئاً حول الجهود التي قاموا بها .

عندما قررت الحكومـة الأمريكية بدء العمل في صنـــع القنبلة الهيدروجينية ، قام اوبنهمير Oppnheimer الذي كان على رأس الذين صنعوا القنبلة الذرية بمعارضة المشروع الجـــديد . وسرعان ما غضبت السلطات وثارت ، ثم نبشت سلسلة من المزاعم القديمـة التي كانت على علم بها دائماً ، واصدرت في عام ١٩٥٤ قراراً منعت بموجبه أوبنهمير من الاطلاع على أية معلومات سرية .

وهناك أولئك الذين يظنون ان هناك تناقضاً بـين وجود رغبة في

صنع القنبلة الذرية وعدم الرغبة في صنع القنبلة الهيدروجينية ولكن القنبلة الذرية صنعت وقت الحرب عندما افترض خطأ (على الرغم من وجود أسباب كافية لهذا الخطأ) ان هتلر كان على وشك اكتشاف كيفية صنعها . وأما صنع القنبلة الهيدروجينية فقد حدث وقت السلم ، وعندما كان مؤكداً انه إذا ما مضي في انجاز المشروع ، فان الاتحاد السوفيتي سيصنع القنبلة بمجرد صنع الولايات المتحدة لهـــا ، وعندها لن تكون وسيلة انتصار لأي من الطرفين .

وفي الوقت نفسة ، أثار التدمير لذي ثبت ان القنبلة الهيدروجينية تسببه ، اقصى درجات الخوف والشعور بالخطر بـــين أوساط العلماء ، الذين لم يكونوا مستخدمين لدى حكوماتهـــم وبمبادرة من الكونت برنادوت اجتمع عدد من ابرز رجال العلم (اقتصر على الدول الغربية) في جزيرة ميناو Mainau ، وفي الخامس عشر من تموز ١٩٦٥ وقعوا على البيان التالي :

نحن الموقعون على هذا النداء ، علمـــاء من دول عديدة وأجناس متنوعة وعقائد مختلفة وقناعات سياسية متباينة ، الا اننا نتمتع جميعاً بامتياز كوننا قد منحنا جائزة نوبل

لقد كنا سعداء بتكريس سني حياتنا في خدمـة العلم ، ذلك اننا نعتبر العلم طريقاً لحياة افضل للجنس البشرى . ولكننا نشعر بالخوف والخطر عندما ندرك ان العلم نفسه هو الذي يقدم للانسان الآن وسائل تدمير نفسه .

إن العالم قد يصبح بسبب الحرب الشاملة واستخدام الاسلحة المتوفرة

الآن ، مشبعاً بالمواد المشعة بحيث ان الحرب ستتسبب في تدمير جميع الشعوب والقضاء على المحايدين والمتخاصمين على حد سواء .

وإذا ما اشتبكت الدول الكبرى في حرب فمن ذا الذي يضمن انها لن تتطور الى صراع مميت ؟ وعلى ذلك فان أية دولة تدخل حربا شاملة انما تسبب الخراب لنفسها ، وتوقع العالم أجمع في براثن الخطر .

إننا لاننكر ان الخوف من هذه الأسلحة المدمرة هو الذي يحفظ السلام العالمي في الوقت الراهن ومع ذلك ، فنحن نرى انها لضلالة كبرى من جانب أية دولة تعتقد ان الخوف من أسلحة كهذه سوف تمنع نشوب الحروب على المدى الطويل . فعلى العكس من ذلك ، فإن الخوف والتوتر كانا يؤديان دائما الى اندلاع الحروب ، كما انه يبدو لنا بالطريقة نفسها انه لمن خداع النفس ان نتخيل ان النزاعات الصغيرة يمكن ان يفصل فيها بواسطة الأسلحة التقليدية إذ لاتوجد دولة محاربة على استعداد ، في أوقات الخطر الداهم ، لأن تمنع نفسها من استخدام أية أسلحة يمكن للتقنية العلمية أن تقدمها .

ومن هنا فإن على جميع الدول أن تتوصل طواعية الى قرار تعتبر فيه القوة آخر ملجأ لها في سياستها الخارجية ، ذلك انها سوف تكف عن الوجود إذا لم تكن مستعدة لذلك .

وقد قدم الدكتور لينوس بولينغ الذي كان أحد أنشط العلماء في البحث عن طرق للقضاء على خطر الحرب النووية ، قدم التماساً الى الأمم المتحدة ، حث فيه المنظمة على الموافقة على وقف التجارب النووية كخطوة أولى نحو الغاء الأسلحة النووية . وقد وقع على هذا الالتماس

٩٢٣٥ عالم . وفي كانون الثاني من عام ١٩٥٨ قدم الالتماس الى المستر همرشولد ، وجاء فيه :

نحن العلماء الموقعون أدناه ، نحث على توقيع اتفاقية دولية لمنع التجارب على القنابل النووية في الحال .

إن كل تجربة على قنبلة نووية تزيد كمية جديدة من العناصر المشعة فوق جميع انحاء العالم ، وكل كمية جديدة من الاشعاع تسبب الأذى لصحة المخلوقات البشرية في جميع انحاء العالم ، كما تسبب تخريب البلازما بحيث سيؤدي ذلك الى زيادة عدد الأطفال المشوهين الذين سيولدون في الأجيال المقبلة

وطالما ان هذه الأسلحة بين أيدي ثلاث قوى ، يبدو الاتفاق على الحد منها ممكناً ، وإذا ما استمرت التجارب وانتشر استخدام هذه الأسلحة الى حكومات جديدة ، فإن خطر اندلاع حرب نووية ملحقة بسبب عمل طائش يقوم به زعيم قومي غير مسؤول ، سوف يزداد زيادة عظيمة .

إن التوقيع على معاهدة دولية لوقف التجارب النووية فوراً ، يمكن أن يكون خطوة أولى نحو نزع سلاح شامل ، والغاء الأسلحة النووية الغاء تاماً وفعالاً ، وتجنب احتمال نشوب حرب نووية يمكن ان تكون كارثة على البشرية جمعاء .

إننا نشارك زملاءنا اهتمامهم العميق برفاهية جميع المخلوقات البشرية . وكعلماء لديهم معرفة بمدى الأخطار المتعلقة بهذا الأمر ، ولديهم بالتالي مسؤولية خاصة لكي تصبح هذه الأخطار معلومة نرى ان من المحتم القيام بعمل فوري للتوصل الى معاهدة دولية لوقف التجارب على جميع الاسلحة النووية .

ولقد قدمت الحكومة الهندية تقريراً كتبه مجموعة من رجال العلم البارزين وعنوانه : « الانفجارات النووية وآثارها » . وقد نشر هذا التقرير في دلهي عام ١٩٥٦ ، واعيد نشره في عام ١٩٥٨ وهذا التقرير يتميز بالصدق والموضوعية . بيد أنه ، لهذا السبب ، لم يخدم أهداف السياسيين في الشرق والغرب ، ولم يقدم شيئاً يثير اهتمام الصحافيين الباحثين عن الاثارة . وبالنتيجة لم يعرف عن التقرير في الشرق او الغرب إلا القليل .

وفي آب عام ١٩٥٥ عقد اجتماع هام في لندن للاتحاد البرلماني للحكومة العالمية اشترك فيه ممثلون عن جميع الدول المستقلة الاخرى . وكان المشتركون في الاجتماع يقتصرون كلياً على اعضاء البرلمانات ، وحضره علماء ، وعلماء اجتماع ، وفلاسفة . وقام بتنظيم الاجتماع وجدول الأعمال عدد من العلماء . وقد جاء الروس مثلهم في ذلك مثل الأعضاء الآخرين بروح ودية تماماً ، واستقبلوا بقدر مماثل من الصداقة والود من قبل الاعضاء الغربيين . وبدا لدى التقدم في المناقشة انه لو القيت مهام العالم على هيئة كهذه فان التوتر بين الشرق والغرب كانت حدته ستنخفض بسرعة ، وسيمكن ايجاد الحلول لكثير من المشكلات التي وجد انها مستعصية ، وذلك بطريقة لا تعني التخلي عن أية مصالح من قبل اي فريق . وفي بداية المناقشة قدمت المشروع التالي :

ما دامت الاسلحة النووية ستستخدم لا محالة في أية حرب عالمية في المستقبل ، وما دامت تلك الاسلحة تهدد الوجود المستمر للحياة المتمدينة وربما تهدد الجنس البشري ، نحث حكومات العالم أن تدرك وان تقر علانية بان اغراضها لا يمكن ان تتحقق بواسطة حرب عالمية ، وبالتالي

فاننا نحث على أن تدرس فوراً التطورات العلمية الأخيرة وما تنطوي عليه بالنسبة للانسانية جمعاء ، وان تدعم الوسائل السلمية لحل قضايا النزاعات الدولية .

وفي نهاية المناقشة أقر المشروع التالي بالاجماع :

ما دام الخطر الماثل الآن يعني انه في حال نشوب أية حرب عالمية في المستقبل فان الاسلحة النووية قد تستخدم ، وما دامت مثل هـذه الاسلحة تهدد بالتسبب في عذاب وخراب لا حدود لهما ، نحث حكومات العالم على أن تدرك وان تقر علانية بان اغراضها لا يمكن ان تتحقق بواسطة حرب عالمية ، وبالتالي فانـنا نحث أن تدرس فوراً التطورات العلمية الاخيرة وما تنطوي عليه بالنسبة للانسانية جمعـاء ، وان تدعم الوسائل السلميه لحل قضايا النزاعات الدولية .

وقد أضفت العبارة التالية :

ان المشروع ، كما لاحظتم ليس كالمشروع الذي طرحته في بدايـة المؤتمر ، والظروف الموجودة ناتجة عن المناقشات التي أجريناها مع اصدقائنا السوفيت ، الذين يسعدني القول أننا توصلنا بعد مناقشة ودية جداً الى اتفاق كامل معهم ، والى مشروع يؤيده الجميع . ان هـذا الاتفاق والاجماع أمران في غاية الأهمية . وانني لسعيد جداً لأن المشروع قد قدم على هذا النحو بحيث حاز على تأييد أصدقائنا السوفييت ، قدر ماحاز على تأييد أصدقائنا في الغرب . انه لبداية تعامل آمل أن تتسع آفاقه ويزداد مع السنين حتى ننتهي من الخلافات التي تفرق بيننا .

وتحـدث البروفسور س . ان . غولونسكي من أكاديمية موسكو للعلوم فقال :

لقد خولني العلماء السوفيت القيام بالمهمة السارة ، مهمة أخباركم بانهم يؤيدون المشروع . كما أريد أيضاً أن أشير بشكل خاص الى روح التعاون والتفاهم المتبادل بين أعضاء اللجنة التي جعلت من الممكن التوصل الى موافقة جماعية على المشروع . ان قرارات هذا المؤتمر لاتتمتع بقوة قانونية ، ومغزاها هو من طبيعة أخلاقية كلياً . إلا أن الشيء الأهم هو حقيقة أن هذا المشروع قد أقر ، ليس من قبل الأغلبية ، وانما بالاجماع معبراً عن مشاعر جميع الحضور . اننا على ثقة من أن اقرار هـذا المشروع ، سيشكل اسهاماً كبيراً في مجال تقوية السلم الدولي ، وسلامة شعوب العالم .

وتحدث البروفسور ا . ف توبشييف سكرتير الاكاديمية السوفيتية معقباً :

ان العلماء السوفيت يرون أنه من دواعي سرورنا أن نشير الى أن المؤتمر قد حقق نجاحاً ساحقاً ، وقد عمل المؤتمر بروح من التفاهم المتبادل في الوصول الى انفـاق وانه لشيء على قدر كبير من المغزى ان المشروع الرئيسي الذي خرج بـه المؤتمر ومقررات لجانه ، قد أقرت بالاجماع . لقد أثبت مؤتمرنا أن أية مسألة يمكن أن يتم الاتفاق بشأنها اذا ما رغب جميع المسهمين باخلاص بالتوصل الى اتفاقية ، وابدوا فيها ورغبة في أن يأخذوا بعين الاعتبار وجهات نظر شركائهم . ان من الهام ان نشير الى مظهر ايجابي آخر لمؤتمرنا وهو اجتماع علماء دول مختلفة وحدوث اتصالات شخصية بينهم ، ستؤدي بلاريب الى تعزيز وتقوية الروابط العالمية والى مزيد من النجاحات العلمية .

وانتهت الجلسات في جو من الود والحماس البالغ ، وكان الثلثان

الاولان من عام ١٩٥٥ يمثلان فترة من فترات الأمل . وعقد مؤتمر كبير في شهر حزيران بمدينة هلسنكي نال نجاحاً كبيراً ، وأطلق عليه اسم مجلس السلم العالمي الذي يدعمه الشيوعيون بالدرجة الأولى ، ويسهم فيه غير الشيوعيين أيضـــاً ، ولم يتسن لي حضوره إلا أنني أرسلت مذكرة تتضمن شروط ممكنة لحل النزاعات بين الشرق والغرب نالت موافقة جميـع أعضاء المؤتمر تقريباً . ومع ذلك فقـد عكر جو المؤتمر الطافح بالأمل في ذلك الوقت ، الحكومات الغربية التي لم تلبث أن سحبت مقترحاتها الخاصة بنزع السلاح عندما قبل بها الاتحاد السوفيتي على غير ما توقع . وفي الاشهر الاخيرة نهج الاتحاد السوفيتي النهـج نفسه لمنع التوصل الى معاهدة لتحريم التجارب النووية .

وأما المنظمة التي كنت مرتبطاً بها اكثر من أية منظمة أخرى ، فقد عرفت فيما بعد باسم حركة البغواش Pugwash Movement . وقد نشأت هذه الحركة من بيان ارسلت مشروعاً له لعدد صغير من رجال العـلم البارزين ، وعلى رأسهم اينشتاين الذي وقعه قبل يومين من وفاته . وكان هدفي ضمان التعاون بين العلماء الشيوعيين والمناهضين للشيوعية حول مسائل تقع ضمن دائرة المنافسة التكنيكية ، وضمان حدوث تعاون فيما يختص بالخطوات الدولية المتعلقة بالاسلحة النووية اذا امكن ذلك . وقد قدرت ان بيانا يوقعه اثنا عشر رجلاً من أقدر علماء العصر ، قـد يكون له بعض الاثر على الحكومات والشعوب . وعندما ضمنت عدداً من التواقيـع بدا كافياً لي كبداية ، سارعت لنشر البيان في مؤتمر صحفي نظمه عـدد من العاملين في صحيفة الاوبزرفر بمساعدة من الصحيفة ، وذلك في التاسع

من تموز ١٩٥٥ . و كان البروفيسور روتبلات هو رئيس المؤتمر لحسن الحظ وفيما يلي نص البيان :

اننا نشعر في هذا الوضــع المأساوي الذي يجابه الانسانية ان على العلماء أن يعقدوا مؤتمراً يوضحوا فيـــه الاخطار التي نجمت عن تطور اسلحة الدمار الجماعي ، وان يناقشوا مشروعاً على نمـط المشروع الذي سبق لي ان اقترحته .

اننا نتحدث في هذه المناسبة ، ليس باعتبارنا أعضاء لهذه الدولة اوذاك ، أو لقارة دون أخرى أو تعبيراً عن عقيدة مفضلة على عقيدة ثانية . وانما باعتبارنا مخلوقات بشرية ، باعتبارنا أعضاء في الجنس البشري الذي استمر يتعرض وجوده للخطر .

ان العالم مليء بالصراعات ، وأما الصراع الذي يفوق جميع الصراعات الصغيرة فهو يتجلى في الصدام الكبير بين الشيوعية وأعدائها .

ان كل من يعي الموقف السياسي يراوده شعور قوي حول مسألة أو أكثر من هذه المسائل ، إلا أننا نريد منكم اذا ما استطعتم أن تطرحوا جانباً مثل هـــذه المشاعر ، أن تعتبروا أنفسكم من جنس بيولوجي له تاريخ مشهود ، ولا يرغب أي منا في اختفائه عن الأرض .

واننا سنحاول الا نقول كلمة واحدة يمكن ان ترضي جماعي دون أخرى . فالجميع معرضون لخطر مماثل ، اذا ما أدركناه وجد الأمل في أن يتجنب من قبل الجميع .

ان علينا أن نفكر بطريقة جديدة ، وأن نتعلم أن نسأل أنفسنا ليس عن الخطوات التي يمكن اتخاذها لتأمين النصر العسكري الى الجماعة

التي نفضلها ، ذلك أنه لم تعد هناك خطوات من هذا النوع . فالسؤال الذي علينا أن نسأله لأنفسنا هو : ماهي الخطوات التي يمكن اتخاذها لمنع نزاع عسكري يمكن أن تكون نتيجته فاجعة لجميع الفرقاء ؟

ان النـــاس والكثيرين من الذين يشغلون مراكز في السلطة ، لم يدركوا ماذا يعني نشوب حرب تستخدم فيها القنابل النووية . فالناس مازالوا يفكرون من زاوية القضاء على المدن ومحوها . إلا أن من الواضح ان القنـابل الحديدة أشد قوة من القديمة ، وأنه في الوقت الذي يمكن لقنبلة ذرية واحدة القضاء على هيروشيما ، يمكن لقنبلة هيدروجينية واحدة القضاء على اكبر المدن من امثال لندن ونيويورك وموسكو .

ولاشك ان مدنا عظمى سوف تمحق لدى نشوب حرب بالقنـابل الهيدروجينية ، بيد أن هذا أحد الكوارث الصغيرة التي علينا مجابهتها . فاذا ما قضي على جميـع سكان لندن ونيويورك وموسكو ، فـان العالم قد يفيق من الضربة خلال عدد من القرون ، الا اننا نعلم الآن منذ تجربة بكيني بشكل خاص ، ان القنابل النووية يمكن ان تنشر الخراب بالتدريـج في منطقة اكبر بكثير من تلك التي نظن .

لقد أوضح أحد الثقاة ، ان قنبلة واحدة يمكن صنعها الآن بحيث تعادل قوتها ٢٥٠٠ مرة قوة القنبلة التي دمرت هيروشيما . ومثل هـذه القنبلة ، في انفجارها بالقرب من سطح الأرض أو تحت الماء ، يمكن أن ترسل اشعاعات ترتفع في طبقات الجو العليا ، ثم لاتلبث ان تهبط بالتدريج حتى تصل الى سطح الارض على شكل غبار أو مطر مميت . ولقد كان هـذا الغبار هو الذي أثر على الصيادين اليابانيين وحصيلتهم من السمك .

ولايدري أحد المدى الذي يمكن ان تنتشر فيه هذه الذرات المشعة بيد ان أفضل الثقاة مجمعون على القول ان حرباً بالقنابل الهيدروجينية يمكن ان تضع حداً للجنس البشري . ومما يخشى منه انه اذا ما استخدم عدد من القنابل الهيدروجينية فسيحدث موت كوني يبدأ فجأة بالنسبة لاقلية من الناس ثم مايلبث ان يصبح بالنسبة للاغلبية عذاباً بطيئاً من الامراض والتشوهات .

لقد أطلقت تحذيرات عديدة من قبل رجال بارزين في الميدان العلمي ومن قبل الثقاة في الاستراتيجية العسكرية ، ولايوجد فيهم من يقول بأن واقع اسوأ النتائج أمر مؤكد ، ان ما يقولونه فعلاً هو أن هذه النتائج ممكنة ، وانه ليس ثمة من يمكنه التأكد بأنه لن يجري ادراكها . فاننا لم ندرك بعد أن آراء الخبراء بالنسبة لهذه المسألة تعتمد في جميع مستوياتها على سياساتهم واهوائهم . انهما تعتمد ، كما يوضح باحثون ، على مدى معرفة الخبير . ولقد وجدنا ان اولئك الذين يعملون حقيقة الامر اكثر من سواه ، هم أشد الناس تشاؤماً .

اذن هنا تكمن المشكلة التي نعرضها ، هنا تكمن المشكلة مخيفة ومرعبة ولا فكاك منها : هل نضع حداً للجنس البشري أم أن الجنس البشري سيتخلى عن الحرب ؟ [1] ان الناس لن يواجهوا هذا الاختيار ، لأن من الصعوبة بمكان القضاء على الحرب.

---

(١) يرغب البروفيسور جوليو كوري ان يضيف هذه الكلمات : كوسيلة لفض النزاعات بين الدول .

أن الغاء الحرب سيتطلب وضع حدود مقيتة على السيادة القومية[1]
ولكن ربما كان مايعرقل فهم الموقف اكثر من أي شيء آخر هو ان
عبارة الجنس البشري تبدو غامضة ومجردة . فالناس قلما يتخيلون ان
الخطر يحيق بهم وباولادهم وباحفادهم ، وليس بانسانية لايمكنهم تصورها .
انهم بالكاد ان يدركوا انهم شخصياً واحباءهم في خطر ماحق يهددهم
بالهلاك . وهكذا يأملون انه ربما يسمح للحرب بالاستمرار في حال منع
الاسلحة الحديثة .

ان هذا الأمل وهم ، فمهما كانت شكل الاتفاقات التي توصل اليها
زمن السلم ، وتحظر استعمال القنابل الهيدروجينية ، فانها لن تعتبر
ملزمة وقت الحرب ، وسيعمد الطرفان الى صناعة القنابل الهيدروجينية
طالما ان الحرب اندلعت . ذلك انـــه اذا ماقام طرف بصناعة
القنابل ولم يفعل الطرف الآخر ذلك ، فسيكون الطرف الذي يصنعها
المنتصر لامحالة .

وعلى الرغم من ان اتفاقية للحظر على الاسلحة النووية ، كجزء من
تخفيض عام للتسلح[2] لن تقدم حلاً نهائياً ، فانها ستخدم اهدافاً عامه
معينة . اولاً ، اية اتفاقية بين الشرق والغرب هي اتفاقية خيرة بقدر

---

(١) يرغب البروفيسور جوليو كوري ان يضيف بان هذه الحدود يجب ان يتفق
عليها من قبل الجميع ، وما يتفق ومصالح الكل .

(٢) البروفيسور مولر يبدي تحفظاً مفاده ، ان هذا يجب ان يعني وجود تخفيض
متوازن لجميع الاسلحة .

ماتميل الى الغاء التوتر . ثانياً ، الغاء الاسلحة النووية ، اذا ما اعتقد كل طرف ان الآخر قد التزم مخلصاً بذلك ، سوف يخفف من حجم المخاوف حول حدوث هجوم مفاجيء على غرار بيرل هاربور ، وهو الأمر الذي يجعل الطرفين في الوقت الحاضر في حالة من التوتر العصبي . وعلى ذلك فسترحب بمثل هذه الاتفاقية ، رغم انها تشكل خطوة اولى فحسب .

ان معظمنا ليس محايداً في شعوره ، ولكننا كمخلوقات بشرية علينا ان نتذكر انه اذا ما اريد للمسائل بين الشرق والغرب ان تحسم باية طريقه يمكن ان ترضي الجميع ، سواء كانوا من الشيوعيين او المناهضين للشيوعية ، آسيويين او اوربيين او امريكيين ، بيض او سود ، فان هذه المسائل يجب الا تحسم عن طريق الحرب . اننا نأمل ان يتم ادراك ذلك في الشرق والغرب على حد سواء .

فامامنا اذا ماأردنا تقدم مستمر في ميادين السعادة والمعرفة والحكمة ، فهل نختار الموت بدلاً من ذلك ، لاننا لانستطيع ان ننسى خصوماتنا . اننا نناشد كمخلوقات بشرية ، نناشد الكائنات البشرية : ان تذكروا انسانيتكم وانسوا البقية . واذا ماكنتم قادرين على فعل ذلك . فان الطريق مفتوحة امامكم لبناء فردوس جديد . اما اذا لم تكونوا قادرين على ذلك ، فامامكم يكمن خطر الموت الكوني .

لقد جرت الدعوة الى عقد مؤتمر للعلماء يصوت على مشروع وفق الشروط التالية :

مشروع

اننـــا ندعو اعضاء هذا المؤتمر وعلماء العالم والجماهير ان يدعموا المشروع التالي :

على ضوء الحقيقة القائلة انه في حال نشوب اية حرب مقبلة ، فان الاسلحة النووية سوف تستخدم بالتأكيد ، وان هذه الاسلحة تهـدد الوجود المستمر للجنس البشري ، فاننا نحث حكومات العـالم على ان تدرك وتعلن ان اهدافها لايمكن ان تتحقق عن طريق حرب عالمية . كما نحث هذه الحكومات بالتالي على ايجاد وسائل سليمة لحل جميـع النزاعات بينها .

لقد سادت روح هذا المشروع على جميع مؤتمرات بغواش اللاحقة .

وقد وقع على الوثيقة كل من :

البروفيسور ماكس بورن (استاذ الفيزياء النظرية في جامعة برلين وفرنكفورت وغوتنجن ، واستاذ الفلسفة الطبيعية في جامعة ادنبره ١٩٣٦ – ١٩٥٣ ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء) .

البروفيسور ب . و . بريدغمان (استاذ في جامعة هارفارد ، وحائز على جائزة نوبل في الفيزياء) .

البروفيسور البرت اينشتاين .

البروفيسور ل . انفلد (استاذ في جامعة وارصو ، وعضو اكاديميـة العلوم البولونية ، اسهم مع اينشتاين في تأليف كتاب : تطور الفيزياء ومشكلة الحركة) .

البروفيسور جوليو كوري (استاذ في الكوليج دي فرانس ، وعضو مركز واكاديمية الطب ، ورئيس الاتحاد العالمي للعاملين في حقل العلوم ، والحائز على جائزة نوبل في الكيمياء) .

البروفيسور هـ . ج . مولر (شغل منصب استاذ في جامعة موسكو والهند الخ . ويعمل الآن في جامعة انديانا ، حائز على جائزة نوبل في الطب والفيزيولوجيا) .

البروفيسور لينوس بولنغ (مدير مخابر غيتز و كريلين في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ، وحامل جائزة نوبل في الكيمياء) .

البروفيسور س . ف . باول (استاذ في جامعة بريستول ، وحائز على جائزة نوبل في الفيزياء) .

البروفيسور ج . روتبلات (استاذ الفيزياء بجامعة لندن ، استاذ في كلية الطب التابعة لمستشفى مارثولوميو) .

برتراند رسل .

البروفيسور هيديكي يوكاوا (استاذ في جامعة كيوتو ، وحائزعلى جائزة نوبل في الفيزياء) .

وارسلت هذا البيان الى مختلف رؤساء الدول مع الرسالة التالية :

عزيزنا ...

ارفق بهذه الرسالة بيانا موقعاً عليه من قبل بضع من ابرز العلماء في موضوع الحرب النووية ، مشيراً الى خطر الكارثة المميتة التي ستنتج عن حرب كهذه ، وضرورة ايجاد طرق غير الحرب يمكن ان

تسوى فيها النزاعات الدولية . وانني لآمل من الصميم في انكم ستعلنون عن رأيكم حول المشكلة التي عالجناها في هذا البيان ، والتي هي اشد المشكلات التي جابهت الجنس البشري خطورة .

المخلص

برتراند رسل

ولقد وقع على هذا البيان لدى نشره (١١) شخصاً (كان لدى اثنين منهم بعض التحفظات) . ودعا البيان الى عقد مؤتمر دولي لعلماء الشرق والغرب والدول غير المنحازة . وكانت العقبة الرئيسية التي وقفت في وجه تدشين مثل هذا المؤتمر ، عقبة مالية ، باعتبار ان عدداً قليلاً من العلماء كان قادراً على تحمل اعباء السفر المالية . وقد تقرر ألا تقبل أية اسهامات مادية من أية هيئة أو مؤسسة ، الا ان هذه الصعوبة أمكن تلافيها بواسطة كرم وسخاء سيروس ايتون ، الذي وضع املاكه في بغواش - نوفا سكوتيا تحت تصرف المؤتمر ، كما قدم مساعدات مالية سخية . وقد وجد ، كما أمل انه عندما اجتمع علماء من دول عديدة واراء سياسية مختلفة في جو من التواصل الاجتماعي الودي ، تبين بالامكان التوصل الى قدر اعظم بكثير من الاتفاق مما سبق التوصل اليه في اي حوار رسمي جرى بين الحكومات . وبعد المؤتمر الاول شكلت لجنة مستمرة لتنظيم المؤتمرات في المستقبل . وبالاضافة الى اقامة مؤتمرات صغيرة تعالج بعض النقاط الخاصة ، تقرر اقامه مؤتمرات كبرى تعالج مشاكل سوسيولوسية واقتصادية ، وعدم الاقتصار في توجيه الدعوات الى العلماء فقط . وانما

أن تشمل الدعوات علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد الذين يمكن أن تكون اراؤهم ثمينة . وقد عقدت بالفعل ستة مؤتمرات ووجد بالامكان وضع تقارير حازت على موافقة الجميع[1] ، بما في ذلك ممثلي دول الكتلة الشيوعية والغربية والدول غير المنحازة . وهاكم بعض اجزاء بيان فيينا الذي صدر في ٢٠ ايلول ١٩٥٨ وتبناه مؤتمر بغواش الثالث بالاجماع ، باستثناء عضو أمريكي واحد ، استنكف عن التصويت . وقد جاء في البيان :

اننا نجتمع في كيتزبول وفيينا في وقت اصبح فيه واضحاً أن تطوير الاسلحة النوويـة جعل من الممكن للانسان ان يدمر الحضارة ويدمر نفسه . وقد أصبحت وسائل التدمير أشد فعالية الآن ، والذين حضروا مؤتمرنا كانوا يبدون اهتماماً كبيراً بهذا التطور منـذ زمن طويل ، كما انهم يجمعون في رأيهم على أن حرب نووية شاملة ستكون بمثابـة كارثة عالمية لامثيل لها .

وفي رأينا ان الدفاع ضد هجوم نووي صعب جداً ، وقد يؤدي عدم وجود ايمان بالخطوات الدفاعية ، للاسهام في اندلاع الحرب .

وعلى الرغم من أن الدول قد توافق على الغاء الاسلحة النووية واسلحة الدمار الجماعي الاخرى من ترسانات العالم ، فان معرفـة كيفية انتاج مثل هذه الاسلحة لايمكن القضاء عليهـا ، وتظل دائمـاً تشكل تهديداً

---

(١) يجب ملاحظة ان هذه المؤتمرات لاتعقد كلها في بغواش ، وان المؤتمرات التي تعقد في البغواش لاعلاقة لها مطلقاً بما يدعى بحركة البغواش وسينشر قريباً تاريخ عن حركة البغواش للبروفيسور روتبلات . واحب ان اصر على ان اعماله تنطوي على اهمية بالغة .

حيوياً للجنس البشري . وفي أية حرب كبرى في المستقبل ، سوف لاتشعر كل دولة متخاصمة بانها حرة فقط ، وإنما مضطرة للقيام مباشرة بانتاج الاسلحة النووية . ذلك انه لاتوجد دولة تستطيع ان تثق لدى نشوب الحرب بان مثل هذه الخطوات لم تتخذ من قبل العدو . اننا نؤمن انه في مثل هذه الحالة ، ستتطلب دولة صناعية كبرى أقل من عام واحد للبدء في تكديس الاسلحة النووية . وعلى ذلك ، فالقيد الوحيد على استخدام هذه الاسلحة في الحرب ، هو المعاهدات التي عقدت وقت السلم . ومع هذا ، فان القوة الساحقة للاسلحة النووية ستجعل اغراء استخدامها لايمكن مقاومته تقريباً وبخاصة بالنسبة لزعماء يجابهون الهزيمة . ومن هنا يبدو ان الاسلحة النووية سوف تستخدم في أية حرب في المستقبل ، وتسبب نتائج مريعة . وكثيراً ما تردد ان الحروب المحلية ذات الاهداف المحدودة ، يمكن ان تنشب دون أن تكون لها نتائج مفجعة . إلا ان التاريخ يرينا ان خطر تحول الصراعات المحلية الى حروب كبيرة ، أعظم من أن يقبل به في عصر أسلحة الدمار الشامل . ولذلك على الجنس البشري ان يقر العزم على القضاء على جميع الحروب ، بما في ذلك الحروب المحلية .

ان سباق التسلح هو نتيجة لعدم الثقة بين الدول ، كما أنه يسهم في اذكاء عدم الثقة هذا ومن هنا فاية خطوة للحد من سباق التسلح واحداث تخفيضات صغيرة في التسلح والقوات المسلحة وفق اسس من المساواة ، أمر مرغوب فيه . اننا نرحب بجميع الخطوات في هذا الاتجاه وبخاصة الاتفاق الاخير الذي عقد في جنيف بين ممثلين عن الشرق

والغرب ، وناقش امكانيـة اكتشاف التجارب على الاسلحـة النووية . وكعلماء فاننا نشعر ببعض السرور من الحقيقة القائلة ان هذه الاتفاقية الشاملة ، والتي تعتبر الاولى من نوعهـا بعد سلسلة من مفاوضات نزع السلاح الدولية التي لم يقيض لها النجاح ، قد أمكن تحقيقهـا عن طريق الفهم المتبادل ووحدة الهدف لدى العلماء من دول مختلفة . واننا لنلاحظ بارتياح ان حكومات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة قد وافقت على البيانات والنتائج التي تضمنها تقرير الخبراء الفنيين . وهـذا نجاح ذو مغزى . اننا لنأمل كثيراً ان هذه الموافقة ستتبعها قريبـاً اتفاقية دولية تؤدي الى الاقلاع عن تجارب الاسلحة النووية ، والى اقامة نظام فعال للرقابة . وهذا سيكون الخطوة الاولى نحو تخفيف حدة التوتر الدولي ، وانهاء سباق التسلح .

ان النتائج التي توصلنا اليها حول الذيول المترتبة عن نشوب الحرب ، تؤيدها التقارير والوثائق التي قدمت الى مؤتمرنا . وهـذه التقارير توضح أنه اذا ما اطلق جزء كبير من الاسلحة النووية التي صنعت حتى الآن اذا ما اطلقت هذه الاسلحة في حرب مقبلة ضد الاهداف المدنية ، فان معظم مراكز الحضارة في الدول المتخاصمة ستدمر تدميراً شاملاً ويقضي على معظم سكانها . وسيحدث هذا سواء كانت القنابل تستمد معظم قوتها من مردود فعل الالتحام (القنابل المسماة بالنظيفة) . وبالاضافة الى تدمير المراكز الرئيسية للسكان والصناعة ، فان مثل هذه القنابل ستدمر ايضاً اقتصاد الدولة التي تعرضت للهجوم من خـلال تدمير وسائل التوزيع والمواصلات الحيوية .

ان الدول الكبرى قد قامت بالفعل بتكديس كميات كبرى من الاسلحة النووية « غير النظيفة » ، ويبدو أنها مستمرة في فعل ذلك . ومن وجهة النظر العسكرية البحتة ، فان القنابل غير النظيفة لديها مزايا في بعض الحالات ، مما يجعل من المرجح استخدامها في اية حرب شاملة .

والغبار الذري الناتج عن استخدام القنابل غير النظيفة ، سيتسبب في مصرع جزء كبير من السكان في الدولة التي تعرضت للهجوم . وبعد انفجار هذه القنابل باعداد كبيرة (كل انفجار يعادل انفجار مليون طن من المواد الكيماوية العادية المتفجرة) ، فان الغبار المشع ، سينتشر ليس فوق المنطقة التي تعرضت للقصف ، وانما سينتشر بشدة متفاوته فوق بقية سطح الارض . وهكذا فسيلاقي الملايين من الناس مصرعهم ، ليس في الدول المتخاصمة فحسب ، وانما في الدول غير المتخاصمة ايضاً . وذلك بفعل الاشعاعات .

واكثر من ذلك ، فسيحدث دمار بعيد المدى بسبب الاشعاع ، يؤثر على الانسان ، وعلى العضويات الاخرى في كل مكان ، ابتداء من التشوهات المختلفة الى السرطان العظمي ، وقصر العمر ، ومن التأثير على السلالات الى التأثير على النسل .

ولا حاجة بنا الى القول ان الاذى البيولوجي الناتج عن حرب يستخدم فيها عدد من القنابل النووية ، ستكون اضخم بكثير من الأذى الناتج عن التجارب . ومن هنا ، فالمشكلة الرئيسية والملحة امام الجنس البشري هي تهيئة شروط للقضاء على الحرب .

اننا نؤمن كعلماء ان علينا ان نسهم اسهاماً كبيراً في ايجاد الثقة والتعاون بين الدول . فالعلم مهمة دولية من باب العرف والعادة .

والعلماء الذين يدينون بولاءات قومية مختلفة يجدون بسهولة اساساً عاماً للتفاهم ، ويستخدمون الطرق والافكار نفسها ، كما يعملون لتحقيق اهداف ثقافية مشتركة ، على الرغم من الاختلافات في وجهات نظرهم الفلسفية والاقتصادية والسياسية . ان اهمية العلم المتنامية باطراد بالنسبة لمشكلات الجنس البشري تزيد من اهمية مجتمع التفاهم . وقدرة العلماء في العالم اجمع على ان يفهم واحدهم الآخر ، هو ان يعملوا معاً اداة ممتازة لرأب الصدع بين الدول وتوحيدها وراء اهداف مشتركة . اننا نؤمن ان العمل المشترك في جميع الميادين التي يبدو فيها التعاون الدولي ممكناً ، يسهم اسهاماً كبيراً في تحقيق التواصل بين الدول . كما يمكن أن يسهم في تطوير مناخ الثقة المتبادلة ، هذا المناخ الضروري لحل النزاعات السياسية بين الدول ، والذي يعتبر خلفية جوهرية لنزع سلاح فعال . اننا نأمل ان يدرك العلماء في كل مكان مسؤولياتهم تجاه الجنس البشري وتجاه شعوبهم ، وان يسهموا بالفكر والوقت والطاقة اللازمة لزيادة حجم التعاون الدولي .

اننا نعتقد ان العلم يمكن ان يخدم الجنس البشري على افضل وجه ، اذا ما كان بعيدا عن تدخل اية عقيدة صلبه مفروضه من الخارج ، واذا مامارس حقه في مناقشه جميع المسلمات ، بما في ذلك مسلماته هو ..

وفي شروط الثقة الراهنة بين الدول ، والسباق من اجل التفوق العسكري الذي يتبع منها ، اصبحت جميع فروع العلم - الفيزياء ، الكيمياء ، علم الاحياء ، علم النفس - مرتبطة بالتطور العسكري . وقد اصبح العلم بالنسبة لكثير من الشعوب مرتبطا بتطور الاسلحة . واصبح العلماء ينالون الاعجاب بسبب من اسهامهم في الامن القومي ، او تصب

عليهم اللعنات لانهم وضعوا الجنس البشري في خطر ، باختراعهم اسلحة الدمار الجماعي . ان التأييد المادي المتزايد ، الذي يحظى به العلم الآن ، في العديد من البلدان ، يعود بالدرجة الاولى الى اهميته المباشرة ، الى القوة العسكريه لدولة من لدول ، ولدرجة نجاحها في سباق التسلح .

وهذا يحرف العلم عن هدفه الحقيقي ، وهو زيادة المعرفة الانسانية ، وزيادة سيطرة الانسان على قوى الطبيعة في مصلحة الجميع .

اننا نستنكر الشروط التي تؤدي الى هذا الوضع ، ونناشد جميع الشعوب والحكومات التوصل الى شروط يتوطد فيها سلام دائم[١] .

لقد كرمت لجنة الامن الداخلي التابعة لمجلس الشيوخ (لجنة تابعة للهيئة القضائيه لمجلس الشيوخ الامريكي) المؤتمر ، وكان تقرير هذه اللجنة وثيقة مدهشة حقا . فهو يعتبر ان اي شيء في الغرب يرغب في القضاء على التوتر بين الشرق والغرب لابد ان تكون لديه ميول شيوعية ، وانه لدى حدوث اي اتصال ودي بين اي شيوعي ، فان الشيوعي لابد ان يتفوق على غير الشيوعي مهما كانت قـدرة الاخير ، وان اي شيوعي اسهم في مؤتمرات البغواش لابد ان يعبر عن سياسة حكومته ، وان مـع ذلك ، وعلى الرغم من ان بيـــانات البغواش تؤيـد السلم وهي

---

(١) وقع هذا البيان بعض العلماء من استراليا ، النمسا ، بلغاريا ، الدنمرك . المانيا الديمقراطيه ، المجر ، هولندا ، النرويج ، بولونيا ، يوغوسلافيا ، كما وقعه عالمان من كندا وتشيكوسلوفاكيا وايطاليا ، وثلاثةعلماء من الهند ، واربع من فرنسا ، وخمسة من جمهورية المانية الفيدرالية واليابان ، وسبعة من بريطانيا العظمى ، وعشرة من الاتحاد السوفيتي ، وعشرون من الولايات المتحدة . واحب ان الفت الانتباه الى الفقرة التي تلح على اهمية التحرر من التصلب في العقيدة بشكل خاص ، والتي وقع عليها جميع العلماء السوفيت المشتركين في المؤتمر .

البيانات التي وقـع عليها الشيوعيون ، فـان الحكومة الروسية ترغب بالحرب . ويجنح التقرير الى التحايل والخداع ، وهذا مدهش حقا . وهو يقتطف بياني القائل : ان علينا ان نتعلم كيف نسأل انفسنا عن ماهيـة الخطوات التي يمكن اتخاذهـا لتوفير النصر العسكري للجماعات العسكرية التي نفضلها ، ذلك انه لاتوجد خطوات كهذه بعد الآن . الا ان التقرير يحذف العبارة الاخيرة ويشير الى ان ارائي السياسية ليست واحـــدة في عام ١٩٤٨ وفي عام ١٩٥٩ ، كما يبين بلطف ان « رسل كان في عام ١٩٤٨ يبلغ من العمر ٧٦ عاما ، بينما اصبح في السابعة والثمانين في عام ١٩٥٩ » . ويغفل التقرير انه خلال السنوات التي تفصل بين التاريخين حدث تغير آخر ، ربمـا كان اشد اهميـة من انحدار نحو الشيخوخة ، واعني بذلك ان امريكا كانت في تاريخ سابق المالكة الوحيدة للقنبلة الذرية ، بينما اصبحت امريكا وروسيا مالكتين للقنبلة الهيدروجينية فيما بعد . ويمضي التقرير ليوضح ان مؤتمرات بغواش حضرها شيوعيون وكأن هذه الحقيقة وحدها كانت كافية للحط من شأن هذه المؤتمرات . واعتبر هدف القضـاء على التوتر بين الشرق والغرب ، الذي لايمكن تحقيقه في غياب الشيوعيين ، اعتبر في حد ذاته يستحق اللوم والتعنيف . واعتبرت موافقة موسكو على كتاب بولنغ : « لاحرب بعد الآن » دلالة على الشر ، باعتبار انه لايمكن لشخص في تمام عقله ان يعارض الحرب النووية .

كل هذه مع ذلك ، انتقادات ثانوية لاتتعدى كونها الدليل على ان العلمـاء الغربيين ، كما يقول التقرير ، جمـاعة من بطاء العقول ، الذين يعتقدون ببساطه ان اسهام السوفيت كانت تحركه رغبة اكاديمية

في تدعيم قضية العلم في العالم ، او يحركه دافع مثالي من اجل الاقتراب من نزع السلاح والسلم العالمي .

لقد اخترقت عيون لجنة الامن الداخلي التابعة لمجلس الشيوخ السطح الى اعماق الدوافع التي تحرك علماء البغواش ، وهناك قسم من التقرير بعنوان « تحريض على الخيـانة » يكشف عن نشاطـات كل من آلان نن مي ، جوليوس روزنبرغ ، وكلاوس فوخس ، ويستهدف اعطاء القارىء انطباع مفاده ان هؤلاء العلماء كانت لهم ، بطريقة ما ، علاقة بالبغواش . ولم يحدث الا نادرا أن صادفت قطعة دعائية اشد افتقارا للامانة من هذه .

ويسير ايقاع التقرير الى درجة يمتدح معها الروس الاشرار السلم ، بينما يمتدح فيها الامريكيون الوطنيون الحرب ، ان اي شخص خال من الهوى والتعصب ، لابد له لدى قراءة التقرير وتصديقه من ان يدفع الى تأييد روسيا . ولحسن الحظ ان الغرب ليس على ذلك القدر من السواد الذي يتضح من التقرير ، الا انه ليس من الحكمة في شيء التغاضي عن حقيقة كون لجان مجلس الشيوخ تمتلك سلطات كبرى تسمح لها بالاضطهاد ، وتستخدم هذه السلطـات بشكل عــــام من اجل احبـاط وعرقلة كل محاولة للتعقل .



في هذا الفصل سأطلب الى قارئي ان ينسى الآن تفاصيل التاريخ القريب العهد والاحتمالات السياسية للمستقبل القريب ، وسأطلب اليه ايضا ان ينسى مايحب وما يكره ، ان ينسى مايفضله وما لايفضله ، وان ينسى قناعاته الاخلاقية التي تحدد ماهو خير وماهو شرير . وآمل ان اعالج في هذا الفصل بطريقة علمية محضة وغير متحيزه ، ماهيه الشروط التي يمكن تحقيقها اذا ما اراد البشر الاستمرار في العيش زمنا طويلا . وفيما يتعلق بالشروط الجسدية لايلوح ان ثمة سببا كافيا يمنع الحياة ، بما في ذلك الحياة الانسانية ، ألاتستمر طيلة العديد من ملايين السنين . والخطر يأتي ليس من وسط الانسان البيولوجي ، وانما من ذاته . لقد عاش الانسان في وضع يسوده الجهل ، فهل يستطيع الاستمرار في البقاء الآن بعد ان فقد درجة الجهل المفيدة ؟

هناك شكل واحد من اشكال البقاء المؤقت ، ليس غير محتمل كليا . لربما سيظل بعض الناس على قيد الحياة بعد نشوب حرب نووية ، الا انه لن يبق اي جهاز من اجهزة الحضارة . فالذين سينجون بحياتهم قد يشغلون زمنا طويلا في عملية الحصول على الطعام . وقد يكونون محرومين كليا من المؤسسات الاجتماعية وغير قادرين على بث المعرفة او

التكنيك وايصالهما الى الاجيال المقبلة . وفي مثل هذه الشروط قد يكرر البشر تاريخ السنوات المائة الف الماضية . وبعد ان يصلوا الى درجة الحكمة التي نتمتع بها الآن ، قد يسببون سقوطهم عن طريق ارتكاب حماقة تماثل الحماقة التي قد نرتكبها . ذلكم شكل محتمل واحد من اشكال البقاء البشري ، الا انه ليس بالشكل الذي يشعر المرء بكثير من الراحة .

وإذا افترضنا ان البشر سيظلون قادرين على تكتيك العلم ، فما هي الطرق الممكنة التي يستطيعون بواسطتها تجنب الدمار الشامل . اننا نسأل الآن سؤالاً أضيق من سؤالنا : هل باستطاعة الانسان البقاء ؟ انما نتساءل الآن : هل يستطيع الانسان العلمي البقاء . انني لا أسأل فقط عما إذا كان بمقدوره ان يبقى خلال السنوات العشر ، أو حتى السنوات المائة المقبلة . فقد ينجح إذا ما اسعفه الحظ ، بالبقاء خلال فترات يسودها خطر عظيم ، غير أن حسن الحظ لايمكن ان يتوقع له الاستمرار الى الابد . والاخطار التي يسمح لها بان تظل محدقه سوف تسبب الدمار ان عاجلاً أم آجلاً .

ولهذه الاسباب . أخشى أن يكون من الواجب أن نعتبر أن من المحقق ألا يعيش الانسان العلمي طويلاً إذا ما سادت الفوضى الدولية الراهنة . فطالما ان القوات المسلحة تحت قيادة دول مفردة ، أو مجموعات ، أو أمم ليست قوية بما فيه الكفاية ، لكي يكون لها سيطرة غير قابلة للتحدي على العالم أجمع — وطالما أنه من المحقق تقريباً أن الحرب ستنشب ، أن عاجلاً أم آجلاً ، وطالما ان القضية العلمية سائدة ، فان نتائج الحرب

ستكون قتالة أكثر فأكثر . وتوجد الآن احتمالات تجعل حتى دعاة القنابل الهيدروجينية يصابون بالخوف بالرعدة . فآلة القيامة التي يمكن ان تقضي علينا جميعاً ، يمكن صنعها في الوقت الراهن ، لا بل انها قد بنيت فعلاً ، وأرخص أشكالها هي قنبلة الكوبالت . وهي مشابهة للقنبلة الهيدروجينية ، باستثناء كون الاجزاء الخارجية مصنوعة من الكوبالت ليس من اليورانيوم . وهذه القنبلة يمكن ان تسبب لدى انفجارها شكلاً من أشكال الكوبالت المشع ، يمكن أن يتحلل ببطء . فاذا ما فجر عدد كاف من قنابل الكوبالت ، فان جميع سكان هذا الكوكب سيقضى عليهم خلال سنوات قليلة . يقول لينوس بولنغ في مقال له نشر في مجلة « الانساني » عدد آذار ونيسان ١٩٦١ : « مقابل ستة بلايين دولار — واحد على عشرين من المبلغ الذي ينفق على التسلح في كل عام من قبل جميع دول العالم — يمكن بناء قدر كاف من قنابل الكوبالت لضمان مقتل جميع سكان الارض ، ومهما كانت الحماية التي يمكن تأمينها ، فان من المستبعد جداً ان يبقى كائن بشري على قيد الحياة .

ان قنبلة الكوبالت عبارة عن طريقة واحدة فقط للتدمير ، والمهارات المتوفرة حالياً قادرة على صنع المزيد منها ، والحكومات الراهنة يمكن أن تستعمل بعضها .

لهذه الاسباب ، يلوح بشكل لايقبل الشك ان الانسان العلمي لايمكن ان يعيش طويلاً مالم تصبح جميع اسلحة الحرب الرئيسية ، وجميع أجهزة الحكم في ايدي سلطة مفردة ، تستطيع نتيجة لاحتكارها ، امتلاك قوة لاتقاوم ، وتستطيع اذا ما تعرضت لتحد من التحديات ان

تمحق أي عصيان خلال بضعة أيام دون ان تلحق كبير اذى إلا للعصاة المتمردين ، وهذا كما يبدو واضحاً ، شرط لا غناء عنه مطلقاً لاستمرار وجود عالم تتملكه المهارة العلمية .

هناك طرق مختلفة يمكن ان يحقق بواسطتها مثل هذا العالم ، فالى حين امتلاك كلا الطرفين القنبلة الهيدروجينية ، كان بالامكان تحقق ذلك نتيجة لحرب نووية ينتصر فيها احد الطرفين ويفرض ارادته دون وجود مقاومة ناجعة . هذا الاحتمال لم يعد يوجد بعد الآن . ان درجة الاذى التي يمكن أن تتسبب عن حرب نووية بالاسلحة المتوفرة حالياً ، غير معلومة ، وعلينا جميعاً ان نأمل بان تظل كذلك . ومن المحتمل تماماً ان يحدث بعد حرب تنشب بين حلف شمال الاطلسي وحرب وارصو ، ان تحتفظ بعض الدول المحايدة بدرجة من التماسك الاجتماعي تسمح لها للابقاء على الحضارة . فاذا ما ظلت الصين على سبيل المثال ، ظلت محايدة في حال نشوب مثل هذه الحرب ، واذا ما هبت الريح من الشرق خلال الايام القليلة من هذه الحرب ، فان الصين قد تكون في وضع تستطيع السيطرة على العالم . واذا ما كانت الصين دولة مخاصمة او اذا ما كانت الريح غربية ، فان امبراطورية العالم قد تصبح نصيب تحالف بين جنوب افريقيا واستراليا . وفي حال حدوث أي من هذه الاحداث ، فان الدولة أو الدول التي ستظل على قيد الحياة ، قد ترغم بقية سكان الدول التي كانت دولاً عظمى فيما مضى على الخضوع ، وعلى ان تحكم على نمو ديكتاتوري في عالم تصبح فيه مقاومة هذه الدول التي

ظلت على قيد الحياة مستحيلة [1] .

ذلكم طريق واحد أتصور من خلاله كيف يمكن أن يتحد العالم في ظل حكومة واحدة . وهو ليس بالطريق الذي يبعث على السرور ، كما أنه ليس بطبيعة الحال الطريق الذي يمكن لأي قوة نووية في الوقت الحاضر الترحيب به . ولست أظن ، مع ذلك ، ان نتيجة كهذه من نتائج حرب نووية ، محتملة الوقوع على الاطلاق .لا بل انه ليلوح ان من الارجح ان يصبح وجود الحضارة مستحيلا في البلدان التي كانت محايدة ، كما في البلدان المتخاصمة .

وهناك طريق مرغوب به اكثر بكثير لضمان السلام العالمي ، وهو الاتفاق طوعياً بين الدول على التخلص من قواتها المسلحة والخضوع لسلطة دولية متفق عليها . وهذا قد يبدو في الوقت الراهن مشروعاً بعيداً وطوباويا ، إلا أن هناك بعض السياسيين العمليين الذين يظنون العكس . فعندما كان ماكميلان وزير الدفاع وناطقاً باسم الحكومة قال : « ان هدفنا بسيط وسجلنا واضح فيما يتعلق بمسألة نزع السلاح كلها . ان نزع السلاح الفعلي يجب ان يستند على اسس بسيطة وحيوية . انه يجب ان يكون شاملا ، واعني بذلك ، ان يشتمل على جميع الاسلحة الجديدة والقديمة : التقليدية وغير التقليدية . كما أن الرقابة على الاسلحة يجب

---

(١) في كتابي السلطان : المنشور عام ١٩٣٨ قلت : « ان دولة عالمية اصبحت الآن امكانية تكنيكية ، وقد يمكن بناؤها من قبل الجانب المنتصر في حال نشوب حرب عالمية خطيرة حقاً ، اوهذا محتمل اكثر ، بواسطة اشد الدول المحايدة قوة » ص ١٧٢ .

أن تكون لها سلطة دولية ، أو إذا اردنا ، ان تكون لها سلطة تعلو على الدول وتتمتع بقوة حقيقية . ان أعضاء مجلس العلوم الاجلاء ، قد يقولون ان هذا بمثابة رفع لمهام الامم المتحدة ، أو أية سلطة اخرى ، بحيث تصبح شيئاً أشبه بحكومة عالميـة . ولتكن كذلك ، فهي لن تكون اسوأ اذا ما اتخذت هذه الصفة . فعلى المدى البعيد ، أرى أن هذا هو الطريق الوحيد لانقاذ الجنس البشري »[1] .

ان باستطاعتي ان اذكر عدداً من الناس الذين ليسوا طوباويين او مفتقرين الى الخبرة السياسية ، والذين اعربوا عن آراء مشابهة . إلا انني في الوقت الحاضر غير مهتم بالاحتمال العلمي لانشاء حكومة عالمية ، وانما باستمرار وجود المجتمع المتمدين .

ان انشاء حكومة عالمية من نوع مـا ، يمكن ان يتم دون ضمان السلم العالمي . وقد يحدث هذا على سبيل المثال ، اذا ما قامت الدول المختلفة التي اسهمت في القوات المسلحة للسلطة العالميـة بذلك عن طريق تقديم قوات وطنية يمكن أن تحتفظ بوحدتها القومية وتكون موالية لحكومتها الوطنية ، في حال نشوب أزمة ما ، وليس لسلطة عالمية . وقد يكون من المفيد اعطاء خطوط عامة لدستور عالمي محتمل ، صمم خصيصاً للكشف عن مثل هذه الاخطار ، ومثل هذا المخطط هو مجرد اقتراح بالطبع . كما أنه ليس بنبوءة بكل تأكيد . ان هدفي هو أن أبين ان دستوراً عالمياً يمنع الحرب ممكن التحقيق .

---

(٢) مجلس العموم ، آذار ١٩٥٥ .

اذا ما أردنا أن تقوم سلطة عالمية بوظائفها ، فان عليها ان تمتلك قوة تشريعية وتنفيذية وعسكرية لاتقاوم . ان قوة عسكرية لاتقاوم هو الشرط الاشد اهمية مما عداه ، والاشد صعوبة هو التحقيق . ولذلك فسأعالج هذا الشرط أولا .

ان على جميع الدول الاتفاق على تخفيض قواتها المسلحة الوطنية الى المستوى الضروري لعمليات الشرطة الداخلية . ويجب ألا يسمح لأية دولة بالاحتفاظ باسلحة نووية ، أو أي وسائل أخرى للدمار الشامل . وعلى السلطة العالمية أن تمتلك القوة اللازمة لكي تستخدمها داخل أية دولة ، وان تصنع مثل هذه الأسلحة على النحو الذى تراه ضرورياً . ففي عالم تكون فيه الدول المنفصلة منزوعة السلاح ، لاتحتاج القوات العسكرية لسلطة عالمية ان تكون ضخمة جداً ، ولن تشكل عبئاً واحداً يقع على مختلف الدول . ومن أجل منع تطور الولاءات القومية في أي جزء من القوات الدولية ، سيكون من الضروري ان تكون اية قطعة عسكرية كبيرة نسبياً ، تتألف من قوميات مختلفة . ولذلك يجب الا تكون هناك قطعات أوروبية او قطعات آسيوية او افريقية او امريكية ، وانما يجب أن يكون هناك مزيج متوازن قدر الامكان في كل مكان . ويجب ان تعطى مناصب القيادة العليا ، قدر الامكان . لأشخاص من الدول الصغيرة التي لايراودها أي أمل بالسيطرة على العالم . وبالطبع ، يجب أن يكون هناك حق التفتيش من قبل الحكومة العالمية للتأكد من ان أوامر نزع السلاح تطاع في جميع الدول .

ان دستور الهيئة التشريعية يجب أن يكون فيدراليا بطبيعة الحال .
كما يجب أن تحافظ كل دولة ، على انفراد ، على استقلالها الذاتي في كل ما لا يتعلق بالحرب أو السلم . وهناك في أي دستور فيدرالي صعوبة تنشأ عندما تكون الولايات ذات أحجام مختلفة جداً . فهل يكون لكل ولاية الصوت نفسه ، ام أن من الواجب أن تكون قوة التصويت متناسبة مع عدد السكان ؟ في امريكا كما يعلم الجميع ، جرى تبني تسوية بارعة : فهناك مبدأ ينطبق على مجلس الشيوخ ، ومبدأ آخر على مجلس النواب . واعتقد مع ذلك أن مبدأ مختلفاً سيكون أفضل في تأسيس تشريع عالمي . ففي رأيي أنه يجب أن توجد اتحادات ثانوية ، يكون عدد سكانها متساويا . وهذه الاتحادات يجب أن تكون قدر الامكان متجانسه بعض الشيء ، وان تكون لها مصالح مشتركة عديدة . وحيثما جرى دمج عدد من الدويلات في واحد من هذه الاتحادات الثانوية ، فان على السلطة العالمية أن تأخذ زمام العلاقات الخارجية فقط لهذه الاتحادات ، وليس زمام العلاقات بين الدويلات المختلفة في اتحاد واحد ، مالم يكون هناك خطر نشوب حرب ، أو حدوث تصرف غير دستوري .

أما كيف يجب أن تتشكل هذه الاتحادات ، فان هذا يختلف دون شك ، تبعاً للزمن الذي أصبح فيه الدستور ساري المفعول . فاذا ما طبق هذا الدستور في الوقت الراهن ، يمكن للمرء أن يقترح ترتيبات على النحو التالي : ١ - الصين ٢ - الهند وسيلان ٣ - اليابان واندونيسيا ٤ - العالم الاسلامي من الباكستان حتى المغرب ٥ - افريقيا الاستوائية ٦ - الاتحاد السوفيتي وتوابعه ٧ - أوربا الغربية ، بريطانيا ، ايرلندا ، استراليا وزيلندا الجديدة ٨ - الولايات المتحدة وكندا ٩ - امريكا اللاتينية . وهناك

بعض الدول التي لاينطبق عليها هذا التقسيم وتسبب بعض المصاعب ، نذكر منها على سبيل المثال ، يوغوسلافيا وجنوب افريقيا وكوريا . ان من المستحيل أن نحرز مقدماً ماذا سيكون الترتيب الأفضل لهذه الدول في وقت من الاوقات . أن أي اتجاه يجب أن يمثل فيه الدستور العالمي ودستور آخر لكل اتحاد ثانوي يضعه الاتحاد العالمي . وتقوم الحكومة العالمية بتقديم المساعدة للاتحادات الثانوية ، والدويلات التي تتألف منها هذه الاتحادات في أي عمل دستوري . وعلى هذه الحكومة العالمية أن تتدخل فقط في الشؤون الداخلية للاتحادات الثانوية في حال قيام اتحاد ما بعمل غير دستوري . والمبدأ نفسه يجب أن يطبق على العلاقات بين الاتحادات الثانوية وبين الدويلات القومية التي تتشكل منها .

ترى ما الذي يجب ان تكون عليه قوة السلطة التشريعية العالمية . من الواجب قبل كل شيء ألا تكون أية معاهدة سارية المفعول مالم تكن مدعومة بالسلطة التشريعية التي يجب أن تكون لها القوة اللازمة لاعادة النظر بالمعاهدات القائمة ، اذا ما اقتضت ذلك الظروف الجديدة . والسلطة التشريعية يجب أن يكون لها حق الاعتراض على انظمة التعليم المغالية في القومية ، بما يمكن ان يعتبر خطراً على السلام .

كما ان هنـــاك حاجة لسلطة تنفيذية أعتقد أنها يجب ان تكون مسؤولة امام السلطة التشريعية . والوظيفة الرئيسية لهذه السلطة ، باستثناء الاشراف على القوات المسلحة ، يجب ان تنحصر في الاعلان عن اي خرق للدستور العالمي ، من قبل أية دولة قومية ، أو مجموعة من الدول ، وايقاع العقاب بسبب هذا الخرق اذا ما كان ذلك ضروريا .

ثمة مسألة واحدة أخرى على قـدر كبير من الأهمية ، وهي مسألة

القانون الدولي . ففي الوقت الحاضر ، يتمتع القانون الدولي بقوة محدودة جدا . ولذا فان من الجوهري أن تكون لمؤسسة شرعية كمحكمة لاهاي نفس السلطة التي تتمتع بها المحاكم الوطنية . واعتقد انه يجب أن يوجد قانون جنائي دولي لمحاكمة الذين يرتكبون جرائم شائعة في بلادهم . ففي محاكمات نورمبرغ ، كان من المستحيل الشعور بعدالة الاحكام التي حكم بها نتيجة لاحراز النصر في الحرب ، على الرغم من أنه كان من الواضح أيضاً وجوب وجود اسلوب مشروع لعقاب بعض اولئك الذين أدينوا على الأقل .

واعتقد أنه اذا ما أريد لمثل هذه السلطة الدولية ان تحوز نجاحاً في محو الدوافع الكامنة وراء المشاعر العدائية المؤدية للحرب ، فان عليها ان تعمل لتشجيع الاتجاه نحو مساواة اقتصادية في مستوى الحياة للاجزاء المختلفة من العالم . فطالما أن هناك دولاً غنية وأخرى فقيرة فسيكون هناك حسد لدى جانب واحد ، وظلم اقتصادي محتمل لدى الجانب الآخر .

وعلى ذلك ، فان استمرار محاولة الاتجاه نحو العدالة الاقتصادية ، يجب أن يكون جزءاً من السعي نحو سلم دائم ومضمون .

هناك اعتراضات قوية عديدة على الحكومة العالمية ، ما يزال الشعور بها حاداً من جميع الوجوه ، وسأعالج هذه الاعتراضات في الفصل القادم .

لم تكون حكومة العالم مكروهة

ان الحجة الرئيسية في صالح الحكومة العالمية ، هي انها اذا ماشكلت على النحو الملائم ، يمكن ان تمنع الحرب ومع ذلك ، فقد يكون من السهل اقامة منظمة تعلو على القوميات ويمكن ان ندعوها بالحكومة العالمية ، ولكنها لن تمنع الحرب بشكل فعال . ان مثل هذه الحكومة ستقابل معارضة أقل بكثير من الحكومة التي تكون فيها جميع القوات المسلحة ، التي يعتد بها ، تحت سلطتها وما دام هذا شرط جوهري لوجود منع طويل الأمد للحرب ، فانني لن أشرف باطلاق اسم الحكومة العالمية ، أية منظمة أخرى أقل فعالية منها وانني لمعني الآن بمعالجة الاعتراضات ، على نوع من النظام الذي اقترحته في الفصل السابق .

ان اشـــد الاعتراضات تنشأ من عاطفة القومية . فعندما نقول : « البريطانيون لن يكونوا عبيداً أبداً ابداً » تمتلي افئدتنا بالكبرياء ، ونشعر على الرغم من أننا لا نصرح بذلك ، اننا سنكون عبيداً اذا لم نكن احراراً في ارتكاب اية جريمة ، ضد اية دولة ، في أية لحظة . أن الشعور بالحرية القومية ، شعور ازداد باطراد خلال السنوات المائة والخمسين الأخيرة . واذا ما اردنا أن ندشن حكومة عالمية ، فان عليها

ان تأخذ هذا الشعور بعين الاعتبار ، وان تفعل ماهو ممكن لارضائه .

والذين يدافعون عن الحرية القومية ، التي لا يحدها حد ، لايدركون ان الاسباب نفسها التي يتذرعون بها تبرر الحرية الفردية غير المقيدة .

انني لن ارضخ لرأي باتريك هنري أو لرأي سواه ، حباً بالحرية . ولكن اذا ما اريد لأكبر قدر ممكن من الحرية أن يسود العالم ، فمن الضروري ان توجد قيود تمنع حدوث اعتداءات وحشية عن حرية الآخرين فالمبدأ التالي في مجال الشؤون الداخلية للدول معترف به : القتل غير شرعي في كل مكان . فاذا ما الغيت القوانين التي تحرم القتل ، فان حرية جميع الناس ، باستثناء القتلة مقضي عليها . وحتى حرية القتلة ستكون قصيره الامد في معظم الحالات ، باعتبار انهم سيتعرضون بدورهم للقتل . ولكن على الرغم من أن الجميع ، باستثناء بعض الفوضويين ، يعترفون بذلك فيما يختص بالعلاقات بين الفرد والدولة التي ينتمي اليها ، فان هناك تردداً كبيراً في الاعتراف بهذه الحقيقة فيما يتعلق بالعلاقات بين الدول القومية وبين العالم ككل .

صحيح انه حدثت محاولات منذ أيام غروتيوس لخلق هيئة للقانون الدولي ، وكانت هذه المحاولات مثار الاعجاب الكامل وقد حازت ، فيما يختص بالقانون الدولي ، على الاحترام من قبل الجميع ، وكانت مفيدة . الا ان الخيار ظل مفتوحاً أمام كل دولة قومية لأن تحترم ، أو لاتحترم ، شرائع القانون الدولي . ان القانون مجرد اسطورة ما لم تكن هناك القوة لجعله نافذا . والقوة لجعل القانون الدولي نافذاً ضد الدول الكبرى

مستحيلة في الوقت الذي يمتلك فيه كل منها اسلحة كثيرة . ان الدول الكبرى لديها في الوقت الراهن ، امتياز قتل أعضاء من الدول الاخرى ، كلما شعرت بالرغبة في ذلك . هذا على الرغم من أن الحرية مقنعة بقناع الامتياز البطولي ، امتياز الموت دفاعاً عن الحق والعدل . والوطنيون يتحدثون دائماً عن الموت في سبيـــل بلادهم ، ولا يتحدثون مطلقاً عن القتل في سبيلها .

لقد كانت الحرب حتى الآن جزءاً من الحياة الانسانية ، بحيث أن من الصعب على مشاعرنا وتخيلاتنـا ادراك أن الحريات القومية الفوضوية الراهنـة ، يمكن أن تسبب الحرية للجثث فقط . فاذا ما امكن خلق مؤسسات تمنع الحرب ، فستكون هناك حرية اكبر للعالم مما هو متوفر في الوقت الراهن ، تمامـــاً كما أن هناك قدراً اكبر من الحرية لسبب منع القتل الفردي .

ومع ذلك ، فما دامت العواطف القومية قوية في الوقت الراهن ، فان القيود الفعالة على السيادة القومية ستظل غير مرغوب فيها ، بالنسبة لعدد كبير من الناس . فلنفترض على سبيل المثال أن هنـــاك سلاحاً واحداً للبحرية في العالم ، وان القائد الأعلى لهـذا السلاح يجب أن يتم اختياره بالتناوب من القوى المختلفة المشتركة فيه . ان معظم البريطانيين الوطنيين سيعلنون قائلين : « ماذا .. هـــل يتعين أن تصبح البحرية البريطانية التي قادها نلسون الى النصر ، تحت امرة قائد روسي ! تباً لهذه الفكرة » . وبعد هذه الدهشة ، سيصل صاحبها الى حجة اخرى ،

سيستمر في الكلام حتى يشير الى ان قوة دولية قد تستخدم ضد بلاده .
ان معظم الدول قد ارتكبت خلال فترة او اخرى ، أعمالاً يتعين على حكومة عالمية ان تنعتها بالاجرام . ومعظم اولئك الذين ارتكبوها احيطوا بالاعجاب من قبل الذين يعتبرون انفسهم ليبراليين .

وأفضل الأمثلة في التاريخ ، اعجاب رجال كبايرون وهايتي بنابليون .
فقبل أن يصبح مشروع الحكومة العالمية ممكناً ، سيكون من الضروري جعل الناس يدركون استحالة الفوضى الدولية ، طالما أن اسلحة الدمار الشامل الحديثة موجودة . ان هذه لمهمة صعبة ، ولن تصبح أسهل بفعل معارضة الحكومات القوية .

وهناك اعتراض آخر يوجه للحكومة العالمية ، وهو اعتراض قوي جداً في الوقت الراهن ، في الدول الشيوعية بشكل خاص ، ومفاد هذا الاعتراض انه ربما يثبت الامر الواقع . وطالما أن التعارض بين الشيوعيين وبين مناهضيهم ظل في مثل الحدة والضراوة التي يتميز بها في الوقت الراهن ، فسيكون من الصعب انشاء مؤسسات دولية يمكن ان تبدو معرقلة لانتقال دولة ما ، من معسكر الى معسكر آخر . وسيكون بالامكان ، بطبيعة الحال ، اصدار تشريع يقضي بحرية كل دولة في ترتيب شؤون اقتصادها ، بالطريقة التي ترغب بها . الا انه قد يبدو من الصعوبة بمكان ضمان وجود احترام حقيقي لهذه الحرية . فاذا ما كان سيتم انشاء حكومة عالمية بنجاح ، فان من الواجب توفر تسامح اكبر مما هو متوفر في الوقت الراهن بين الانواع المختلفة من الحكومات القومية . وسيكون من الضروري التغاضي عن بعض المسرات الناتجة

عن تأكيد الذات القومي . ويمكن لكل دولة ان تستمر بالتفكير ، كما هو الامر في الوقت الراهن ، بانها متفوقة على جميع الدول الاخرى في كل المجالات الجوهرية . ولكن عندما تجتمع الدول بهدف التفاوض ، فان المفاوضات يجب ان تكبح جماح التعبير الشعبي عن مشاعر التفوق قدر الامكان . ومثل هذه القيود لن تكون سهلة فيما تظـــل المشاعر القومية قوية ، قدر ماهي عليه حالياً .

وهناك حجة اخرى غالباً ضد الحكومة العالمية اذ يقال، ويصادق على هذا القول الكثيرون ، انها قد تجيء بخطر الطغيان العسكرى . فمن الذي يمنع القوات الدولية المسلحة من العصيان العسكري . وفرض احد الجنرالات امبراطوراً على العالم ؟ ان اولئك الذين يستدعون هذه الحجج ، يخفقون في ملاحظة ان المشكلة نفسها موجودة في كل دولة قومية حالياً . انها لمشكلة حقيقية جداً . وفي العديد من البلدان ، باستثناء الدول الاكثر تمدناً ، ظهرت انظمة طغيان عسكرية بوسائل غير دستورية . ولكن السيطرة العسكرية بواسطة السلطات المدنية ، امكن نجاحها في دول العالم الرائدة فعندما كان لنكولن يفكر في تعيين قائد عام للقوات الشمالية ، في الحرب الاهلية الامريكية ، وجه اليه تحذير مفاده ان المرشح الذي حبذه ، قد يسعى الى الدكتاتورية . وقد كتب لنكولن اليه شارحاً هذه المخاوف ، واضاف قائلاً : « ان الطريق لأن يصبح المرء دكتاتوراً ، هي احراز الانتصارات . وسأنتظر الانتصارات منك واغامر بخطر الديكتاتورية » . وقد اثبتت الاحداث ان هذا كان قراراً حكيماً . وفي الصراع الذي حدث في انكلترا

حول مشروع الاصلاح ، كان ولنفتون يعارض الاصلاح بشدة ، ولكنه على الرغم من سمعته المدوية ، لم يفكر اطلاقاً بقيادة الجيش ضد البرلمان . وفي روسيا ، عندما انقلب ستالين ضد عددمنالجنرالات لم يلاق اية صعوبة في اعدامهم . ان سيطرة الحكومة المدنيـــة على القوات المسلحة في الاتحاد السوفييتي كانت كاملة ، منذ انتهاء الحرب الاهلية التي اعطت السلطة للحكومة السوفيتية . وليس ثمة من سبب للاعتقاد بأن السيطرة على الجيش في ظل حكومة عالمية ، اشد صعوبة من السيطرة عليه في ظل حكومات قومية . ان هذا الخطر من النوع الذي يتعين على الحكومة المدنية ان تعيه ، بيد انه لايوجد سبب يدعو للاعتقاد بان الطرق التي ستطور لمحاربته ، ستكون اقل نجاحاً مما تبين في الدول الكبرى حالياً .

انه ليتعين وجود غرس حاد لفكرة الولاء للحكومة العالمية في كل مكان ، وفي القوات المسلحة بشكل خاص . فاذا كانت كل وحدة كبرى من وحدات القوات المسلحة تشتمل على جنسيات مختلطة ، كما سبق لنا ان اقترحنا بهذا الخصوص في الفصل السابق ، فسيكون من من الصعب ، اذا لم نقل من المستحيل ، لجناح ما ان يثير روح الثورة القومية .

وهناك عقبة سيكولوجية كأداء نوعاً ما ، تقف في وجه انشاء الحكومة العالمية . وهذه العقبة تكمن في عدم وجود عدو خارجي يخشى منه . فالتماسك الاجتماعي يدعم عادة بوجود خطر عام ، اوعداوة

عامة وهذا واضح جداً عندما يكون شخص بالغ على رأس عدد من الاطفال المشاكسين . فطالما يظل كل شيء هادئاً ، فأن من الصعب جعل الاطفال مطيعين . ولكن اذا ماحدث شيء يثير فزعهم ، كعاصفة هوجاء ، او كلب عقور مثلًا ، فان الاطفال سرعان مايبحثون عن حماية الشخص البالغ ، ويصبحون غاية في الطاعة والامتثال . والشيء نفسه ينطبق على البالغين ، على الرغم من ان هذا ليس واضحاً بالدرجة نفسها . ان الوطنية هي اشد بكثير في وقت الحرب مما هي عليـــه في الاوقات الاخرى ، وهناك استعداد لطاعة قوانين حكومية لاتوجد في اوقات السلم ، ان الحكومة العالمية ، باعتبار انه لن يكون لها عدو خارجي ، لن تكون قادرة على اثارة حافز الطاعة هذا . واظن انـه سيكون من الضروري ، كجزء جوهري من التربية ، ان يذكر الناس بالاخطـار التي ماتزال محدقة ، كالفقر وسوء التغذية والاوبئة . وان يجعل الناس مدركين انه اذا ما انعدمت هذه الطاعة للحكومة العالمية ، فان الحرب العلمية يمكن في ان تصبـح محتملة الوقوع مرة اخرى . وعلى الرغم من ان كراهية الدول الاجنبية تثير التماسك الاجتماعي بسهولة ، ربمـا يفوق اي شيء آخر ، فسيكون من قبيل الافراط في التشاؤم انـ نفترض عدم وجود شيء اشد ايجابية وفائدة . ان هذه المسألة بأكملهـا تعتمد على التربية اكثر مما تعتمد على أي شيء آخر . وسأعود اليها في فصل لاحق .

لقد عالجت حتى الآن العقبات السيكولوجية الـتي تعترض سبيل

الحكومة العالمية ، ولكن مقابل ذلك ، تقدم التطورات التكنيكية التي حدثت منذ الثورة الصناعية اسبابا لزيادة حجم الدول ، باعتبار ان كوكبنا محدوداً من حيث الحجم . وهذه الاسباب التكنيكيـة تقودنا بقوة نحو حكومة موحدة للعالم اجمع . لقد كان حجم الدول في الماضي يتحدد بالتساوي بين القوى المتعارضة فمن جهة ، هناك حب السلطان من جانب الحكومة ، وهناك من جهة اخرى حب الاستقـلال من جانب المحكومين . والمشكلة التي تجد فيها هذه القوى انها متوازنة في اية مرحلة من مراحل التطور ، تعتمد كليا على التكنيك . فالزيادة في سرعة التنقل ، والزيادة في تكاليف انتاج الاسلحة ، يقودان الى وحدات حكومية اكبر حجما . فحيث يرخص السلاح ، ويصبح التنقل بطيئاً ، فان الوحدة الحكومية الكبيرة الحجم ، قيمنة بان تصبح غير مستقرة عندما تجابه بثورة محلية . ولهذا السبب وجد بشكل عام ، ميل لدى الدول للنمو من حيث الحجم ، كلما تقدمت المدنية ، والنقص في الحجم كلما تقهقرت الحضارة . وبعض الحوادث القديمة في التاريخ المكتوب ، تتعلق باندماج الحكومات التي كانت متخاصمة في السابق . ان اقدم الحضارات التي نعرفها من السجلات وليس بواسطة الاثار فقط هي الحضارة المصرية . فقد كانت مصر العليا والسفلى دولتين مستقلتين كليا ، ولكنهما اتحدتا في مملكة واحدة عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد تقريبـاً وهذا الاتحاد سهله وجود نهر النيل الذي جعل الاتصال بين الاجزاء المختلفة من مصر ، سهلاً ومرناً بعض الشيء بالنسبة لتلك الازمان . ولقد حدث الامر نفسه في مابين النهرين ، حيث وجدت جماعتان مختلفتان

تدعى احداهما سومر والاخرى آكاد . وقد كانت هاتان الجماعتان متميزتين كلياً من حيث العرف والدين واللغة . وسرعان ما اتحدتا اخيراً على يد فاتح عظيم يدعى سارجون اوربما على يد خلفائه الذين جاؤوا بعده مباشرة . وحسبما يوضح (تاريخ كمبردج القديم – الجزء الاول ، ص ٣٨) حدث هذا حوالي ٢٨٧٢ قبل الميلاد ، وقد ادت القوة المتزايدة التي نتجت عن التوحيد الى انشاء الامبراطورية البابلية . وقد كانت الامبراطورية كبيرة جداً بالنسبة لتلك الايام ، على الرغم من انها لاتبدو كذلك بالنسبة للمستويات الحديثة . واول امبراطوية كبرى حقاً في التاريخ ، كانت الامبراطورية الفارسية التي نتجت ، مثلها في ذلك مثل مصر ومنطقة مابين النهرين ، من اتحاد جماعتين كان كل منهما معاديا للآخر فيما مضى ، وهما الميديون والفرس . ان قدرة حكومة مركزية واحدة على السيطرة على منطقة كاملة ، اعتمدت على الطرق . وفي تلك الايام ، لابل حتى القرن التاسع عشر ، لم يكن البشر او البضائع او الاخبار باسرع انتقالاً من الجواد . وكان الفرس اول من شيد طرقاً عظيمة ، وبخاصة الطريق الذي يصل بين سارديس وسوزا ، وكان طوله يبلغ حوالي ١٥٠٠ ميل ، وكان باستطاعة مراسل على ظهر جواد ان يقطع تلك المسافة في شهر واحد ، الا ان جيشاً مثقلا بالامتعة كان يستغرق حوالي ثلاثة اشهر . ونتيجة لذلك ، عندما ثار اليونانيون الآيتيون ضد الفرس ، كان لديهم الوقت الكافي لاعداد العدة لذلك . وعلى الرغم من انهم هزموا في النهاية ، فان هذا حدث بصعوبة فائقة وقد ورث الفرس عن

المكدونيين اعتمادهم على الطرق ، الا ان الرومان هم الذين اتقنوا ذلك والى حين الاطاحة بروما ، كانت تقدم لرعاياها الكثير من الفوائد التي يتعين علينا ان نتأمل للحصول عليها ، بوجود حكومة عالمية . فقد كان باستطاعة المرء ان ينتقل من بريطانيا الى ضفاف الفرات ، دون ان يمر احيانا باية حدود اونقاط جمركية . وكانت حضارة تلك المنطقة الشاسعة حضارة متحدة كلياً ، ولم يبدو لوقت طويل وكأن لدى روما اي شيء تخشاه من الامم الاخرى . وعندما سقطت روما ، حلت عملية معاكسة لتلك التي تميز بها نمو الحضارة . فقد حل عدد ضخم من الدول التي تناصب واحدتها العداء للاخرة محل الحكومة المتحدة السابقة ، وسقط مستوى الحضارة بشكل فاجع ، كما خلفت الطرق التي اعتمدت عليها قوة روما وسلطتها دون اصلاح او ترميم

ومع ذلك ، فقد بدأت حركة تدريجية جديدة نحو نظام أشد مدينة ، بدأت بالظهور . وفي انكلترا ، حيث وجد عدد من الملوك المستقلين ، وحيث كانت (ميرسيا) و (ويسيكس) تناصبان بعضهما العداء بنفس القدر من المرارة الذي تنطوي عليه علاقات روسيا وامريكا الآن حدثت وحدة على يدي الفريد الاكبر . وبعد سبعمائة عـــام تقريباً ، اتحدت انكلترا وسكوتلندا اللتين قاتلت واحدتها ضد الاخرى طيـــلة قرون عديدة ، عن طريق حادثـة تتعلق بالسلالة الملكية . ولو ان الملكة اليزابيت الاولى انجبت اطفـالا ، فلربما كنا مانزال نقاتل بانوكبورن وفلودن فيلد .

ولم يزد اختراع البارود من حجم الدول فقط ، وانمـــا زاد زيادة

كبرى قوة الحكومة المركزية داخل كل دولة . وانتهت فوضى النبلاء الاقطاعيين في قلاعهم الحصينة مع اختراع المدفعية . وقد استطاع هنري السابع في انكلترا وريشيليو في فرنسا وفرديناند وازبيلا في اسبانيا ، تأمين الامن الداخلي بواسطة الاتحادات التي اقاموها . وهذا مثال يستحق الذكر ، على التأثيرات السياسية للتقنية العسكرية الجديدة .

ولكن على الرغم من ان البارود جعل من الممكن للحكومة السيطرة بشكل فعال على مناطق في مثل ضخامة فرنسا او اسبانيا ، الا انه لم يخلق الشروط التكنيكية التي كانت ضرورية لاقامة حكومة عالمية . وقد نشأت هذه الشروط في وقتنا الحاضر فقط . وكانت الخطوة الضرورية الاولى البث المطرد للانباء . فقبل اختراع التلغراف ، كان السفير مستقلا بالضرورة ، استقلالا تاما عن الحكومة التي عينته ، لانه كان مضطر للتصرف حسب الظروف التي تفرضها اللحظة الراهنة ، في الدولة التي اعتمد فيها ، وكانت هذه الظروف غير معلومة من قبل الدولة التي ينتمي اليها ، كما ان سكك الحديد لعبت ايضا دورا هاما جدا ، واعتقد ان بوسع المرء التأكد بانه لو كان لدى نابليون خطوطا حديدية ، لكان باستطاعته هزيمة روسيا عام ١٨١٢ ، غير ان التغييرات التي حدثت خلال هذا القرن اهم بكثير من الخطوط الحديديه والتلغراف . واول هذه التغيرات الجديدة ، غزو الفضاء الذي جعل بالامكان تحريك جيش خلال ايام قليلة ، من اي مكان الى مكان آخر ، واختراع الاسلحة النووية يجعل اهمية غزو الفضاء . وعندما تحمل هذه الاسلحة بواسطة الصواريخ ، يصبح الوقت الذي تستغرقه رحلتها ، قصيرا الى الحد الذي يبدو معها لااهمية له تقريبا .

هذه الانجازات التكنيكية قد جعلت من الممكن تكنيكيا اقامة حكومة عالمية قادرة على ممارسة سلطتها في كل مكان . وجعل المقاومة المسلحة مستحيلة في الواقع ، هذا في الوقت الذي جعلت الفوضى الدولية الراهنة ، اشد خطرا مما كانت عليه . وهذا الوضع الجديد يعود بشكل رئيسي الى ثلاثة عوامل علمية . اولها واشدها اهمية هو التدمير الشامل الذي تحدثه الاسلحة النووية الحديثة . وثانيها ، السرعة المطردة التي يمكن بواسطتها الوصول الى الاهداف . وثالث هذه العوامل ، تكاليفها الباهظة . كل ذلك يزيد من الحجم المحتمل لدولة مستقرة . وحتى الآن مازال هذا الحجم المحتمل مقتصرا على سطح الارض ، ولكنه قد يمتد قريبا جدا الى القمر والكواكب

تلك هي الاحتمالات الممكنة ، فقط في حال عدم تدمير الجنس البشري لنفسه ، عن طريق التمسك بالاشكال السياسية التي قضت عليها الاسلحة الحديثة .

الخطوات الأولى لخوض ضمان السلم

ان الخطوات الاولى في طريق تحقيق سلام مضمون ، ستكون بالضرورة ، مثلها في ذلك مثل الخطوات المتعثرة لطفل ، خطوات صغيرة وحذرة . وفي هذا الفصل لاأريد أن أعالج كل ما أرغب في معالجته ، وانما كل ما أتصور انه يمكن أن يتحقق عن طريق المفاوضين في المستقبل غير البعيد .

وأول مانحتاج اليه هو وجود جو مختلف يسود المناقشات بين الشرق والغرب . وفي الوقت الراهن ، تجري هذه المناقشات بروح مباراة رياضية . فما يعتبره كل طرف هاما ، ليس التوصل الى اتفاق ، وانما احراز النصر سواء عن طريق استعراضاته الدعائية أمام العالم ، أو عن طريق ضمان تنازلات من قبل الطرف الآخر ، قد ترجح نيران القوى بالاتجاه المرغوب فيه . ولايذكر أي طرف من الاطراف ان مستقبل الانسان مهدد ، وان أية اتفاقية تقريباً ستكون أفضل من عدم وجود اتفاقية . ولنأخذ على سبيل المثال المفاوضات المطوطة والمتعلقة بالغاء التجارب . لقد اتفق الشرق والغرب دائما على ان حيازة الاسلحة النووية من قبل قوى جديدة ، سيزيد من احتمال نشوب حرب نووية . كما اتفقا

على ان انتشار الأسلحة النووية الى دول جديدة أمر لامفر منه . .
وان وضع حظر على التجارب النووية سيساعد على منع حدوث ذلك .
ومن هذه المنطلقات لم يشعر الطرفان وجوب التوقف عن اجراء التجارب النووية ، وانما ان يبدو كل من وجه اليه الاتهام راغبا بالتوقف . وقد بدأت المفاوضات ببيان مشترك أصدره علماء من الشرق والغرب مفاده ان أية تجربة ، يمكن اكتشافها من قبل الطرف الآخر . وعلى ذلك أعلنت الحكومة الامريكية انها اضطرت الى اجراء تجارب تحت الأرض ، وان هذه التجارب يمكن أن تجري دون أن يتم اكتشافها . واعلنت الحكومة السوفيتيه بدورها ان التفتيش اللازم يجب الايجريه شخص واحد يمثل الامم المتحدة ، بل ثلاثة اشخاص ، واحد يمثل الشرق ، والاخر الغرب ، والثالث محايد ، وان عليهم التصرف فقط عندما يكون هناك اجماع . وكما كان يخشى ، فان هذه المناورات من جانب امريكا وروسيا جعلت السنوات التي انفقت على المفاوضات عقيمة ، وادت الى استئناف روسيا لتجاربها النووية . ولايسع المرء الاان يستنتج انه لم يكن يوجد اي طرف مخلص في ادعائه الرغبة في ايقاف التجارب ، عن طريق ابرام اتفاقية بهذا الشأن

واذا ما كان سيتم احراز اي تقدم بالنسبة لاية مشكلة من المشكلات التي تسبب التوتر بين الشرق والغرب ، فان على المتفاوضين ان يجتمعوا ، ليس بهدف اثبات تفوق ذكاء احدهما على الاخر ، او اطالة امد الامر الواقع الخطر ، وانما بوجود تصميم مطلق على التوصل الى اتفاقية . ويجب الاقرار بان اتفاقية ما ، ليست قمينة بان تكون سائغة لاي فريق من الفريقين كليا . ويتعين ان يكون الهدف التوصل الى اتفاقيات لاتخل بميزان القوى ، انما تقضي على خطر الحرب .

واستطيع ان اجد دافعا واحدا يمكن ان يؤدي الى هذا التبدل

في مواقف المتفاوضين . وهذا الدافع يجب ان يتحلى في التحسس لدى الطرفين ، بالرعب الذي تنطوي عليه الحرب النووية . وفي الوقت الراهن يعتقد كل من الطرفين ، ان من الضروري للنجاح في حرب الاعصاب الادعاء بانه قد يكون الرابح . وليس هذا من اجل النجاح في حرب الاعصاب فحسب ، وانما لاجل ايقاع مواطنيهم في التهلكة عن طريق بذل الوعود التي لابد ان تكون الحكومة مدركة انها وعود خادعة . فاحد الطرفين يعلن : « سنكسب الحرب الساخنة » . ويرد الطرف الاخر قائلا : « سنمحقكم » . ان مثل هذه التصريحات قمينة بان تثير الغضب لدى الطرف الذي يتعرض للتهديد . واذا ما اريد لاية خطوات لاحراز السلم ان تتحقق ، فان على الطرفين ان يدركا انهما يجابهان خطرا مشتركا ، وان العدو الحقيقي ليس الطرف الاخر ، وانما اسلحة الدمار الشاملة التي يمتلكها كل منهما .

اذا ما ادرك الطرفان هذا ، فان المشكلة تصبح مختلفة تماما ، ولاتعود بعد الآن مشكلة اثبات تفوق ذكاء ونباهة طرف على الطرف الآخر ، او مشكلة اقناع طرف مالنفسه بانه قادر على احراز النصر . ان المشكلة الاولى هي مشكلة ايجاد خطوات مقبولة مهما كانت صغيرة يمكن ان تثبت بان مفاوضات مثمرة قد اصبحت ممكنة .

ان لدى الجانبين المسالم والمؤمن بالحرب قدرا كبيرا من الخطابة ، ان يؤدي مهما كانت النوايا وراءه ، الى النتيجة المرغوب فيها . لقد عالجنا في السابق الحرب الدعائية الخطابية الكامنة في شعار الحرية أم الموت ، الا أن هناك شعاراً معاكسا ابتكره انصار السلم في المانيا الغربية وهو « من الأفضل ان نكون حمرا على أن نموت » وبامكان

المرء أن يخمن انه يوجـد في بعض قطاعات الرأي العام الروسي شعار معاكس يقول : « من الأفضل أن نكون رأسماليين على أن نصبح جثثاً » . ولست أعتقد أن من الضروري التحقيق في مدى صحة هذين الشعارين الخطابيين ، طالمـــا انني اعتقـد انه ليس محتملا ان تتبناهما الحكومـات الغربيـة أو الشرقيـة . ان أيا من هذين الشعارين لايقدم المشكلة بعدل ، المشكلة التي على الشرق والغرب مجابهتها . فاذا ماعتبرنا أن النصر العسكري من قبل الطرفين مستحيـــلا ، فان من المنطقي القول بان التوصل الى اتفاق عن طريق المفاوضات لايمكن ان يعتمد على الخضوع الكامل من جانب طرف للطرف الآخر ، وانما يجب أن يحافظ على التوازن المتوفر فيما يحوله من توازن الرعب الى توازن الأمـل . أو بعبارة اخرى ، فان التعايش يجب أن يقبل فعلا ، وليس على نحو سطحي كشرط ضروري للبقاء البشري .

وربما كانت الخطوة الاولى يجب ان تكون الاعلان بشكل قاطـع من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ومن قبل أكبر عدد ممكن من القوى ، بان الحرب النووية ستكون بمثابة دمار كامل للشرق والغرب والمحايديين ، وانها لن تحرز شيئاً يرغب فيه الشرق او الغرب أو الدول المحايدة . وانني لآمل ان يصبح بالامكان اصدار مثل هذا البيان فكلا الطرفين يدركان أن فحوى هـــذا البيان صحيـح ، غير أن الطرفين مكبلان بشبكة الكبرياء والدعاوة وسياسة القوة والسلطان ، شبكة لم يفلحا في التخلص منها . انني لآمل أن أرى الدول المحايدة تأخذ زمام القيادة في تحقيق هذا البيان ، ولا أرى كيف يمكن لأي طرف من الطرفين ان يتحمل عار رفض التوقيـع عليه .

والخطوة التالية يجب ان تكون فترة تهدئة مؤقته ، تمتد لعامين مثلاً ، يمكن خلالها لكل طرف التعهد بالامتناع عن ارتكاب الأعمال الاستفزازية . ومن ضمن هذه الأعمال الاستفزازية ، يجب ان تدرج خطوات كالتدخل في حرية برلين الغربية ، أو تدخل الولايات المتحدة في كوبا . يجب أن يتم الاتفاق على ان يقرروا بالقدر الممكن من عدم الانحياز ، ما إذا كان تصرف ما ينطوي على الاستفزاز .

وخلال هذين العامين من التهدئة ، يجب ان تتخذ خطوات مبدئية مختلفة بهدف تسهيل المفاوضات اللاحقة . ويجب ان يكون هناك وضع حد من كلا الجانبين للدعاية المعادية ، ومحاولة محو وجهة النظر الشائعة في الشرق والغرب عن الغرب والشرق بانهما وحشان شريران . وذلك عن طريق زيادة الاتصالات الثقافية . كما يجب ان تتخذ الخطوات من أجل التخفيف من خطر الحرب غير المستفزة أو المقصودة . وفي الوقت الراهن يخشى كل من الطرفين حدوث هجوم مفاجىء من قبل الآخر ، ولديه جهاز ضخم للتحري ، يمكنه بواسطته الأمل باكتشاف مثل هذا الهجوم المفاجيء قبل وقوعه ببضع دقائق . ان كل الطرق التي يستخدمها الطرفان للتحري غير معصومة عن الخطأ . وعلى ذلك ، فكل منهما قد يعتقد انه على وشك التعرض لهجوم ، عندما لايكون قد حدث شيء من هذا القبيل . فإذا ما حدث ذلك فسيأمر أحد الطرفين بشن هجوم معاكس سيبدو للطرف الآخر عدوانا مفاجئاً غير مبرر . ذلكم كابوس متبادل يتسبب عن التوتر ، ولكنه يزيد من حدته زيادة كبرى . ان من الصعب القضاء على التوتر قضاء مبرماً فيما يعيش الطرفان تحت تهديد الرد المباشر ، الذي قد لايكون مجرد رد ، وانما استجابة لخطأ . وليس

من السهل على الاطلاق أن نرى ما يمكن فعله بالنسبة لهذا الوضع إذا ما سمحناله بان يستفحل . أن نزع السلاح النووي سيحل هـــذه المشكلة بالطبـع . وقد كان بالامـكان التخلص من جزء كبير من الخطر قبل وقت غير بعيد عن طريق الغاء قواعـد الاطلاق ، أو إذا ما اعتبرنا هذه الخطوة كبيرة جداً ، عن طريق جعل قواعد الاطلاق غير معدة للاستعمال لفترة من الفترات . ولكن منذ اختراع الغواصات المزودة بالاسلحة النووية ، فقدت قواعد الاطلاق قسما كبيراً من أهميتها الكبرى . لقد أصبح اختزال خطر الحرب الطارئة ، أو التي تحدث بطريق الصدفة مسألة تكنيكية على قدر كبير من التعقيد . وبدون نزع السلاح النووي يبدو اختلاق الأعزار هو الأمر الوحيد الممكن . وإذا ما أريد التوصل لاتفاق من قبل الجانبين ، فان بالامـكان تشكيل لجنـة تكنيكية من الشرق والغرب ، متساوية من حيث عدد الأعضاء ، لدرء هذا الخطر . أما ما يمكن لهذه اللجنة أن توصي به ، فمن الصعب ان نقرر . ومن واجبنا ان نتذكر دائماً ان نزع السلاح النووي يقدم الحمـــاية الحقيقية الوحيدة لمنـع نشوب الحرب بطريق الخطأ .

ويجب أن توجد محاولة من قبل الطرفين أيضاً لزيادة المعرفة المتبادلة لقضية كل منهما ، ومن أجل نشر المعلومات حول الكوارث المتأتية في حال نشوب حرب نووية .

إن العمل الرئيسي الذي يجب القيام به خلال فترة التهدئة ، يمكن أن يكون الاتفاق على تعيين لجنـة تتألف من عدد متساو من الأعضاء من الشرق والغرب والدول المحايدة . واعتقد ان مثل هذه اللجنة يجب أن تكون صغـيرة اذا ما اريد لها القيام بعملها باحكام . وقد تتألف

على سبيل المثال من أربعة أعضاء من الغرب ، وأربعة أعضاء من الشرق ، وأربعة أعضاء من الدول المحايدة . ويجب أن تكون لها ، قبل كل شيء ، سلطات استشارية فقط . وعندما لاتنجح في التوصل الى اجماع الآراء ، فان آراء الأغلبية والأقلية مع الحجج التي تدعم الطرفين يجب الاعلان عنها . كما أن قرارات اللجنة يجب أن تسير وفق اسس معينة ، من أولها وأشدها اهمية أن المقترحات ككل ، تمنح أي طرف الغنم كله ، وإلا فلن تكون هناك فرصة للموافقة عليها . فمثلا ، يجب أن تكف روسيا عن التشويش على الاذاعات الغربية في حال امتناعها عن بث الدعاوة المعادية . والمبدأ الثاني الذي يجب الأخذ به ، هو البحث عن طرق لتخفيف الاحتكاك الخطر في المناطق التي يحدث فيها ، كالاحتكاك بين اسرائيل والعرب ، أو بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية . والمبدأ الثالث الذي يجب أن يكون لاحقاً للمبدأين السابقين ، هو السماح بحق تقرير المصير قدر الامكان . وهناك حدود لما يمكن فعله بهذا الاتجاه ، مادام الروس لايوافقون على تطبيقه في الدول الدائرة في فلكهم . ومن المشكوك فيه ، ما اذا كانت الولايات المتحدة ستوافق على هذا المبدأ دون تحفظ بالنسبة لامريكا اللاتينية . وأما بالنسبة لفرموزا ، فلم أجد أية بيانات تشتمل على رغبات السكان أو اقتراحاتهم ، سواء من الجانب الشرقي أو الغربي ، لم أجد أية بيانات تدعو لاحترام هذه الرغبات . وما لم العالم أقل توترا مما هو عليه في الوقت الراهن ، فان حق تقرير المصير الذي يتوق اليه الجميع ، سيختفي لتحل محله اعتبارات سياسة القوة والسيطرة في كل مكان . وهذا مما يؤسف له . الا انه محتم اذا ما أريد التوصل الى اتفاق بين الدول الكبرى .

وهناك مسألة اخرى على جانب كبير من الأهمية ، ويجب معالجتها خلال فترة التهدئة . وهي مسألة اصلاح وتقوية الامم المتحـــدة . ان منظمة الامم المتحدة يجب أن تفتح أبوابها لكل راغب بالانضمام اليها ، ليس بالنسبة للصين فحسب ، وانما بالنسبة لالمانيا الشرقية والغربية . ومع ذلك ، فمشكلة المانيا خاصة جداً وسيكون لدي المزيد مما أقوله بشأنها في فصل لاحق .

ان الامم المتحـدة عاجزة ، ليس فقط لانهـا تستبعد من عضويتها بعض البلدان ، وانما بسبب حق الفيتو أيضاً . فهي لاتستطيع أن تتطور لتصبح حكومة عالمية في الوقت الذي يظل فيه حق الفيتو ساريا . الا انه من جهة اخرى ، يصعب محو حق الفيتو في الوقت الذي يحتفظ فيه التسلح الوطني بقوته الراهنة . وبالنسبة لهذا الأمر ، كما يبدو ماثلا في المسألة الالمانية ، يجب أن يتقرر موضوع نزع السلاح ، قبـل أن يصبح بالامكان ايجاد أي حل مقبول .

ان وجود نقائص في منظمة الأمم المتحدة هو الذي يجعل وجود لجنة تنسيق فرعية ، هيئـــة افضل من المنظمة للبدء بمشروعات التوفيق بين الدول . وبوسع المرء أن يتأمل انه اذا ماعملت مثل هذه المنظمة ، في الوقت الذي تكون لهـــا فيه قدرة استشارية فقط ، اذا ما عملت بحكمة ، فقد تحصل في الوقت المناسب على سلطة اخلاقية تجعل اقتراحاتها يصعب مقاومتها ؛ وتمنحهـا نفوذاً لا يمكن أن يسهل تأسيس حكومة عالميـة في نهـاية الأمر . والفائدة الكبرى من مثل هذه الهيئة ، تكمن في ان الدول المحايدة ستتمكن من الحفاظ على التوازن بين الشرق والغرب .

واذا ما رأت هذه الدول ان الاقتراحات التي يقدمها طرف أفضل من الاقتراحات التي يقدمها الطرف الآخر ، فان باستطاعتها ان تعطي أغلبية الاصوات الى الطرف الذي تعتبر انه الطرف الأفضل بالنسبة لمسألة معينة . وأن المرء ليأمل في ان تكون الدول المحايدة الى جانب احد الاطراف حيناً ، والى جانب الطرف الآخر في أحيان اخرى. واكثر من ذلك ، فاذا ما كان احد الاطراف يجابه خطر ظهور معارضة من قبل الدول المحايدة — كما لابد أن يحدث للطرفين من آن لآخر — فان هذا يشجع انتهاج سياسة الاعتدال من قبل الطرفين . ان الرغبة في إقناع الدول المحايدة ستخفف من حدة اللهجة التي يستخدمها الشرق والغرب في المناقشات ، وتوصل بالتدريج الى وجهة نظر عالمية ، وليس وجهة نظر تقتصر على طرف دون آخر . وأكثر من ذلك ، فحين يتعذر الوصول الى اتفاق بين الشرق والغرب ، يبرز أمل أفضل في ايجاد حل يستند الى تسوية حكيمة تقترحها الدول المحايدة ، وليس الشرق او الغرب المتنازعان . تلك هي في تقديري أشد الاشياء اهمية والتي بامكان الدول المحايدة أن تقوم بها من أجل دعم اتجاه التعقل . ولانني اعتقد ان الدول المحايدة عليها ان تلعب أهم الأدوار في حفظ السلام . فانني آمل أن أرى بريطانيا تنسحب من حلف شمالي الاطلسي وتحاول أن تلهم بعمل حكيم على رأس كتلة محايدة . ان الكبرياء القومي يجعل معظم البريطانيين يظنون ان هذا العمل سيضعف الغرب الى حد كبير ، إلا أن هذه ليست وجهة نظر الخبراء الامريكيين الارثوذكسيين . كما أنه سيصبح من المحتمل اكثر وليس أقل ، ان يظل بعض البريطانيين على قيد الحياة .

غير ان أفضل الحجج في صالح الحياد البريطاني هو المساعدة التي يمكن ان تقدمها بريطانيا للسلم العالمي ، كدولة محايدة ، ولا يمكن أن تقدمها كعضو في أية كتلة .

لم أعالج في هذا الفصل موضوع نزع السلاح أو مسائل الحدود ، وانما عالجت الخطوات المبدئية التي يمكن ان تخفف من العداء بين الشرق والغرب .

ان نزع السلاح ومسائل الحدود ، سيعالجان في الفصول القاعدة .



نزع السلاح

على الرغم من ان نزع السلاح الكلي هام جداً ومرغوب فيه ، فانه لن يكون كافياً في حد ذاته ، إذا ما تحقق ، لضمان سلام مستقر . وطالما ان التقنية العلمية تظل مدركة ، فان أي حرب كبرى قد تنشب لابد أن تؤدي الى صنع اسلحة نووية من قبل الطرفين . وصنع أية أنواع أخرى من أسلحة الدمار جرى التفكير بها خلال سنوات السلم السابقة . ولكن على الرغم من أن نزع السلاح ليس كافياً وحده لهذا السبب ، فانه خطوة جوهرية جداً ، لا يمكن بدونها أن تؤدي أيـــة خطوة أخرى الى نتيجة ذات قيمة كبرى .

وأولئك الذين يحبذون نزع السلاح ، غالباً ما يعتمدون في قضيتهم على الفكرة القائلة بان أسلحة الدمار الجماعي غير أخلاقية . وهذا صحيح دون شك ، إلا ان من الصحيح ايضاً أن الاقواس والسهام غير اخلاقية . صحيح ان هناك فرق جذري وهام في الدرجة : فاذا ما كان قتل انسان واحد امراً شريراً ، فان قتل مائتي مليون انسان امر شرير بمقـــدار مائتي مليون مرة . غير ان عدم الاخلاقية ليس هو السمة العجيبة للأسلحة الحديثة في الواقع ، وإنمـــا السمة العجيبة حقاً تكمن في حقيقة مطلقة

مفادها ، أنه في حال نشوب الحرب فان الطرفين سيتعرضان للهزيمة . وهذا ما يجعل كل تفكير في الحرب الحديثة سخيفاً وشريراً في الوقت نفسه . إن الشعوب الشرقية منها أو الغربية ، الشعوب التي تقبل بسياسات تؤدي الى الحرب ، إنما هي ضحية التضليل . وبعض الذين يدعون الى سياسة حافة الحرب يقنعون انفسهم بأنه في حرب الاعصاب لابد ان يرضخ الطرف الآخر أولاً . وهذا ما فكر به هتلر بعد مونيخ. وقد أدى سوء تقديره الى سقوطه . وفي الوضع نفسه ، في الوقت الراهن ، فان هذا سيقود ايضاً الى سقوط اعدائه .

وهناك فئة أخرى أشد خطراً من تجار الحروب ، ويمثلها أولئك الذين اسكرتهم الكبرياء الايديولوجية الى حد انهم ، على الرغم من جميع البراهين ، مازالوا يعتقدون بأن الطرف الذي ينتمون اليه سوف يكسب الحرب . اعتقد ان هذا الاعتقاد القائم على أساس سائد كلياً في روسيا وامريكا معاً ، وان حكومتي هذين البلدين تشجعانه باعتباره رصيداً في المفاوضات .

وهناك فئة ثالثة ، وهي فئة المتعصبين المؤمنين بتقديم التضحيات . وهذه الفئة ترى انه لمن النبالة ان تقاتل وان تموت دفاعا عن قضية عادلة ، حتى في حال كون هذه التضحية ستؤدي الى نتائج اسوأ بكثير من الاوضاع التي ستوجد في حال كونها اقل استعداداً للاستشهاد والتضحية .

ولسوء الحظ ، انه منذ القاء قنبلة هيروشيما ، قامت الفئات الثلاث بالتصرف معاً ونجحت في منع حدوث اي شيء يمكن ان يزيل خطر

اندلاع حرب نووية . صحيح انه مرت لحظات أبدى فيها طرف أو آخر ، بعض علائم الفهم والادراك ، الا ان الطرفين لم يشعرا بهذه العلائم معاً على الاطلاق .

ان تاريخ مؤتمرات نزع السلاح ، ابتداء من هيروشيما حتى يومنا الحاضر ، يشكل واحدة من اشد القصص غير المشجعة في التاريخ البشري . فبعد القاء القنابل على هيروشيما ونغازاكي ، ساد الشعور حتى في امريكا (في الوقت الذي كانت تحتكر فيه الذرة) ان الطاقة الذرية يجب ان تصبح تحت اشراف عالمي . وقد طلبت الحكومة الامريكية من ليلنتال ان يعد مشروعاً بهذا المعنى لتجري مناقشته من قبل الحكومة الامريكية . وقد كان المشروع مثيراً للاعجاب ، الا انه ساد الشعور بانه لايمكن ان يقدم الى الدول الاخرى كما هو . وقد برز مشروع باروش ، الذي كان يشكل عرضاً دوليا اجريت عليه بعض الاضافات التي أمّل بانها ستجعل المشروع غير مقبول من روسيا . وقد اثبتت الاحداث ان هذا الامل كان مبرراً .

ويجب القول انه خلال السنوات التي اعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة ، بذل ستالين كل مافي وسعه ليجعل الاتفاق مستحيلا . وقد قامت امريكا في غضون العام الذي اعقب نهاية الحرب باحداث تخفيضات هائلة في اسلحتها التقليدية ، دون ان تحصل على اي تجاوب من قبل ستالين . وعلى العكس من ذلك ، فان ستالين أقام دكتاتوريات عسكرية وبوليسية في جميع الدول التابعة له ، على الرغم من انه تعهد في يالطة بان الدول التي تدور في فلك روسيا ستحصل على حكومات

ديمقراطية ، وعندما اتبع ذلك بحصار برلين وحصول الروس على الاسلحة النووية ، استقر الغرب على الحرب الباردة مع زيادة حدة السياسة والمشاعر المناهضة للروس . وعندما قام الاتحاد السوفيتي بعد وفاة ستالين بمحاولة لتخفيف حدة التوتر ، استقبل الغرب هذه المحاولات بالتشكيك . وعلى الرغم من مؤتمرات نزع السلاح ، ومؤتمرات الغاء التجارب النووية ، فان شيئاً لم يحدث ، باستثناء الحظر على التجارب ، طالما ان المؤتمر المتعلق بها ظل منعقداً . وعلى الرغم من ان اللوم يجب ان يقع على روسيا بشكل رئيسي في السنوات الاولى التي اعقبت عام ١٩٤٥ ، فان هذا لا يمكن ان يقال بالنسبة للسنوات الاخيرة التي اعقبت وفاة ستالين . وعلى العكس من ذلك ، فان اقتراح خروشوف ايجاد نزع شامل وعالمي للسلاح ، رفضه الغرب بتهكم واعتبره خدعة وقد بينت السلطات في الغرب (على الرغم من أن هذا لم يكن ما اعلنته على الملأ بالضبط) ان خروشوف « بدا متظاهراً بان هدف مؤتمر نزع السلاح هو ضمان نزع السلاح ، وان عليه أن يعلم جيداً ان هذا ليس الهدف لدى الجانبين ، وأن الهدف الحقيقي هو القيام بلعبة دعائية يمكن لكلا الطرفين ان يتظاهر فيها بالرغبة في نزع السلاح ، دون التسبب في خطر التوصل الى ذلك . ومن الواضح أن اقتراحه بنزع السلاح الشامل بشكله الحالي ، ينطوي على بعض الهنات فيما يختص بالتفتيش . ونحن نرى في ذلك سبباً للاعتراض على الاقتراح قبل التحقق أولاً مما إذا كان خروشوف سيوافق على التعديلات التي تحول دون هذا الاعتراض » ، وهكذا لم يتم شيء كالعادة .

من الواضح لدى الطرفين انه توجد مزايا كبرى في القيام بتسديد ما يدعى بالضربة الأولى . فاذا ما قام أي طرف من الطرفين بهجوم

نووي غير متوقع ؟ فان بامكانه أن يحدث قدراً كبيراً من الخراب ، يجعل تسديد ضربة ثانية فعالة حقاً امراً صعباً جـداً . وهـذه احدى المشكلات التي يبدي كاهن جل اهتمامه بها في كتابه « الحرب النووية » . ان العديد من الامريكيين المتنفذين ، بالاضافة الى العديد من المتنفذين في أوروبا الغربية ، يعتقدون بان هجوماً غير متوقع من قبل الاتحاد السوفييتي ، قد يحدث في أية لحظة . ونفترض أن رأياً مماثلاً لهذا يسود في روسيا ، وان الحذر من ضربة أولى متوقعة هو في روسيا على نفس القدر من الشدة التي تسود الغرب . وهذا الحذر المتبادل إنما يزيد زيادة كبرى من احتمال حدوث حرب نووية لايرغب فيها الطرفان . ويلاحظ سيمور ملمان مؤلف كتاب ثمين جـداً (التفتيش على نزع السلاح ، مطبوعات جامعة كولومبيا ، ١٩٥٨) هـذا الخطر ، ويذكره بوضوح وتأكيد عظيمين . يقول :

لاشك أن مخترعي الأسلحة النووية قد حاولوا أن يصنعوا لها بعض الصمامات الميكانيكية ضد انفجارها بطريق الصدفة ، بحيث يمكن التحكم بها قبل أن تصبح فعالة . ومع ذلك ، لاتوجد صمامات نهائية ضد احتمال وجود خطأ بشري . فلما كانت الاسلحة النووية تنتج بعشرات الآلاف ، ويجب أن تستخدم من قبل عدد أكبر من الناس ، فان احتمالات حدوث كارثة عالمية بسبب خطأ بشري ، لايمكن تجاهلهـا . ومن المحتمل أن يتسبب رجل معتوه أو مصاب بأمراض عصبية ، أو رجل فقد السيطرة على زمام نفسه لبضع لحظات ، أن يتسبب في انفجار أسلحة نووية في

أي مكان ، أو حتى في أي منطقة مزدحمة بالسكان . وقد يظن أحـد الأقمار الاصطناعية صاروخ عابر للقارات بطريق الخطأ .

ومادام التكتيك العسكري واساليب التقنية قد أصبحت قائمـة على فكرة الرد بسرعة ، فان مثل هذه الحوادث ستتطلب سوء تقدير واحد فقط لـكي يبدأ العمل بخطوات تؤدي الى حرب نوويـة هائلة ، والى خطوات معاكسة لها . وما دامت الاسلحة النووية متوفرة بشكل متزايد، وتتلقفها أيد يفوق عددهـــا ما كانت عليه في الماضي ، فان احتمالات حدوث مثل هذه الصدفة ، لابـد أن تزداد بالضرورة . وفي رأيي ان مثل هذه الاحتمالات تضعف من افتراض وجود حركات منظمة من قبل القوى العسكرية ، تدعم استراتيجية السلم عن طريق وجود الردع المسلح لدى الطرفين .

وأخيراً فان احد الافتراضات الرئيسية المتعلقة باستراتيجيـة الرادع المتبادل ، سوف يتبدل جذرياً عندما تمتلك دول عديدة الاسلحة النووية واذا ما انطلقت قنبلة في مدينة ما ، فقد يكون من المستحيل تمييز المعتدى نظراً لأن العديد من الدول يمتلك القنابل ، ونظراً لوجود طرق مختلفة لاحداث تفجيرات نووية . ومالم يصبح بالامكان تمييز المعتدى ، فسيكون من المستحيل حتى التهديد بالرد . وعلى هذا ، فان استراتيجية « توازن الرعب » تخفق كطريق لمنع الهجمات النووية .

ان هذا الرأي يشارك فيه جميع أولئك الذين لايوجـد لديهم دافع سياسي لمخالفته ، لا بل يشارك فيه حتى بعض أولئك الذين لديهم هـذا

الدافع ، من أمثـال لورد هيلشام وزير العلوم البريطاني ، حيث يقول ان الحرب ستقع إن عاجلاً أم آجلاً (الديلي سكتش ١١ آب ١٩٦٠) . و (س. بي. سنو) هو أشد تأكيـداً . فهو يقول : « ستنفجر بعض هذه القنابل خلال عشر سنوات على الأغلب . هـذا مؤكد (ماونثلي ريفيو ، شباط ١٩٦١ ص ١٥٦) . وأستطيع أن أقدم العديد من الامثلة والمقتطفات التي تعبر عن الرأي نفسه ، لا اقتطف أيا منها من اقوال المتطرفين.

ماذا يعني هذا بالمصطلحات الانسانية ؟ ان احتمال ضربة أولى مفاجئة من قبل روسيا أو أمريكا ، بسبب وجود انطباع مفاده أنهـا ضربـة مقابلة ، ليس عظيماً جداً بالنسبة ليوم معين . إلا أنه مع مرور الأيام، فان الاحتمال نفسه ، مهما تكن طبيعته يضاف ويصبح في النهاية حقيقة مؤكدة ، مالم تتبـدل السياسات . وإذا ما كان س. بي. سنو على حق - ولا يوجد سبب للاعتقاد بانه على خطأ — فان القنابل الهيدروجينيـة سوف تلقى على روسيا خلال السنوات العشر القادمـة . وعلى الغرب بالمقابل ، أو أنها ستلقى على الغرب ، وعلى روسيا بالمقابل . ونحن في بريطانيا قد يكون لدينا انذار مدته أربع دقائق ، ويفيد بأن هذا على وشك أن يحدث . ومن المؤمل ان يوجد لدى أمريكا انذار مدتـه ٢٥ دقيقة . من أي شيء سيجري تحذيرنا ؟ اننا سنتلقى انذارنا ومفاده أن قسماً عظيماً جـداً من سكاننا سيلاقي مصرعه في الحال ، وان البقيـة سيعانون من الموت البطيء . ولا يتوقع الخبراء ان يظل أحد على قيد الحياة في بريطانيا .

وطالما أن السياسة الراهنة ، سياسة « الرد المباشر » مستمرة ، فثمة

خطر كبير جداً في أن يحدث خطأ بشأن هجوم روسي نووي مزعوم .
وفي هذه الحالة سيبدو ما يعتقد جانبنا انه رد ، سيبدو للجانب الآخر
هجوماً مفاجئاً وستبدأ حرب نووية على نطاق واسع . وقد حدث هذا
عدة مرات تقريباً . وثمة محطة رادار قوية في ثول Thule الى الشمال
من غرينلند يفترض ان تقدم تحذيراً من اقتراب قاذفات قنابل سوفيتية .
كما أن طيارين يقودون طائرات تحمل قنابل هيدروجينية قد تلقوا
تدريباً جيداً الى الحد الذين يستطيعون معه أن يصبحوا في الجو خلال
دقيقتين من تسلم الانذار . وقد اعطيت عدة تحذيرات ، وتبين
فيما بعد أن الرادار كان يسجل طيران سرب من الاوز . وقد ظن القمر
الصناعي هجوماً روسياً مرة واحدة على الاقل ، ولم يمنع حدوث هجوم
معاكس سوى وجود جبل جليد عائم قطع الاتصال . وفي جميع هذه
الحوادث بدأت قاذفات القنابل رحلة تدمير . وقد طمئننا رئيس وزراءنا أنه
لم تحدث حرب بطريق الصدفة[1] . ان على المرء أن يفترض بانه لم يسمع
بهذه الحوادث مطلقاً . وقد عرضت وجهة نظر أشد واقعية في تقرير
حول نزع السلاح ، قدمته الأمم المتحدة في آذار ١٩٦١ تضمن (ص١٩) :
« اننا نشك في ان يكون هناك على المدى البعيد عالم دون نزع للسلاح.
ثمة شبح يسيطر علينا : ان يطير سرب من الاوز البري بصمت عبر
القطب ويظهر من ثمة على شاشات الرادار السوفيتية او الامريكية .
وشاشة الرادار تقدم الاوز على انه صواريخ ، وسرعان ماتشن

---

(١) مجلس العموم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٠

حكومة الولايات المتحدة او الاتحاد السوفيتي (حسب القضية) هجوماً نوويا مباشراً . ويبدأ اعصار الحرب النووية ، بينما يطير سرب الاوز بسلام ويظل الشيء الحي الوحيد في آخر حرب نووية . ان هـذه الصورة المعجزة ليست مستحيلة تماماً . فهي تمثل – في الوقت الحاضر على الاقل – سلماً بالغ التزييف في كل ماتنطوي عليه من لاعقلانية ولا انسانية . ان لاعقلانية الحرب النووية تتطلب رمزاً ، وليكن هـذا الرمز سرب اوز يقدم تحذيراً في مثل وضوح صيحات الاوزات الاخريات للرومان قبل زمن طويل في الكابيتول » .

وبالاضافة الى احتمال حدوث خطأ انساني ، هنـاك دائماً فرصة حدوث خطأ ميكانيـكي . فالميـكانيزمات المتعلقة باجهزة الرادار شديدة التعقيد ولا يستطيع احد التأكد من انها بعد ان تبدأ قاذفات القنابل بالهجوم بطريق الخطأ ، فان البرقية الـتي تطلب منهم العودة ، سوف يجري تلقيها على الفور . فاذا لم يحدث ذلك ، فان الجنس البشري سيتعرض للفناء . فهل يمكن لأي شيء أن يبرر ركوب مثـل هذا الخطر ؟

ومهما يكن من امر فـان مفاوضي الغرب والشرق أيضاً ، يتبعون أهواءهم معتبرين – كما نفترض – أن دمار سكان بلادهم سيكون كارثة أصغر من كارثة التنازل قليـلا للعدو . تلك هي سياسة بدلام . فاذا ما كان المفاوضون من الطرفين رجالا عقلاء ، او اقل انغماساً في التفاصيل مما هم عليه ، فانهم سيدركون ان حرباً نووية تنطوي على هذه النتائج المريعة ، هي أعظم خطر يهدد ، وان قيام حوار معقول يؤدي الى عقد اتفاقيـة ، هي السياسة الوحيـدة التي تتنـاسب مع التعقل أو الشعور

الانساني ، أو التردد في تعريض انفسنا واولادنا وأصدقائنا ووطننا لموت ساحق ماحق . وفي الوقت نفسه ، فان الكبرياء وحب السلطان والاعتقاد باحتمالات نجاح عمليات خداع لاتنتهي ، كل ذلك يعمي حكام الشرق والغرب عن واجبهم الواضح تجاه الانسانية ، ويسمح لهم بلعب لعبتهم القتالة دون معارضة .

ان امتلاك الاسلحة النووية من قبل قوى لم تكن تمتلكها من قبل ، أمر يعتبر من قبل الجميع ، مصدراً لزيادة خطر الحرب النووية . وفي البداية كانت امريكا القوة النووية الوحيدة ، ثم امريكا وروسيا ، ثم امريكا وروسيا وبريطانيا ، وقد تكون فرنسا قد حصلت على الاسلحة النووية فعلا . وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بان اسرائيل ستمتلكها قبل مضي وقت طويل . ومن المؤكد أن تحذو الجمهورية العربية المتحدة حذوها . ولا يمكن أن يطول الوقت بالصين الشعبية قبل أن تصل الى أن تصبح دولة نووية . وان أية دولتين نوويتين قد ينشب النزاع بينهما ، واذا ما حدث ذلك فسيجعل نظام التحالف ، الحرب العالمية امراً مؤكداً . ان عدد مجموعات الدول الثنائية التي قد تتخاصم يزداد أسرع بكثير من عدد الدول النووية . ففي الوقت الذي امتلكت فيه دولتان فقط الاسلحة النووية ، كان هناك زوج واحد من هذه الدول فقط . وان الرقم ليرتفع الى ست دول عندما يصبح أربع دول وعشرة عندما يكون خمسة ، وخمس عشرة عندما يكون العدد ستة دول ، وهكذا . وليس هذا هو السبب الوحيد الذي يجعل امتلاك قوى جديدة للقنابل الهيدروجينية خطراً ، ان ذلك يعود أيضاً الى ان هناك زيادة في خطر

تصرف بعض الحكومـات بشكل متهور أو متعصب أو مجنون . ولم يمض وقت طويل على تلك الفترة التي سيطر فيها رجل مجنون على دولة عظمى ، ولا يوجد سبب للاعتقاد بان تكرار مثل هذه الحادثة مستحيلا أو غير ممكن . يقول سيمرر ملمان · « ان تحليل الامكانية للتفتيش على نزع السلاح يأخذ اهمية خاصة ، تبعاً لتوفر الاسلحة النووية للعديد من الدول في الوقت الراهن . وهكذا تنتقـل أساليب القضاء على الجنس البشري الى العديد من الحكومات الكبرى والصغرى » .

ان ايقاف التجارب النووية هام على اساسين مختلفين تماماً . فمن جهة ، ينشر الغبار الذري الاشعاعات السامـــة في جميع أنحاء العالم ، وبعض هذه الاشعاعات يسبب تشوه الاعضاء والسرطان ، بينما يؤثر الآخر على الاجهزة التناسلية ويؤدي الى ولادة المعتوهين . الا ان ثمة سبباً آخر لمنع التجـارب ، لايمكن لدولة دونه ليس لديها أسلحة نووية أن تصنعه بشكل فعال . وقد بدا بعـــد عدد من السنوات التي استغرقتهـــا المفاوضات المطولة ان عقد اتفاقية تمنع التجارب كان أمراً محتماً ، ولكن خروشوف قدم بهذا الخصوص اقتراحه الثلاثي الذي يقضي بامن يقوم بعمليات التفتيش اللازمـة ، ثلاثة رجال ، احدهما شرقي والآخر غربي والثالث محايد . وبنـــاء على هذا الاقتراح ، كان هؤلاء المفتشون سيتصرفون في حال توفر الاجماع . وليس من الواضح انه كان مستعداً على أن يصر على الاجماع ، الا ان اقتراحه قد أثار غضب الغرب ، الى حد أن عقد اتفاقيـــة لمنع التجارب النووية أصبح غير ممكن . وفي الوقت الراهن ، أصبح أمل الانتهاء من التجارب بعيد الاحتمال ، بسبب

قرار السوفيت استئناف التجارب النووية ، ورد الفعل الامريكي المحتم . والنتيجة المؤكدة تقريباً انه بالنسبة لهـذه القضية ، كما هو الامر بالنسبة للقضايا الاخرى المتعلقة بنزع السلاح ، ان يفعـل شيء في المستقبـل القريب على الرغم من حقيقة انه بعدم القيام بشيء – وهـذا معترف به من قبل الجميع – تزيد الدول باستمرار من خطر كارثة نووية .

دعونا الآن ننتقـل من سجل الجمود المثير للكآبة الى التفكير فيما ينبغي ان نفعله اذا ماسنحت للجنس البشري فرصة استمرار الوجود .

ان الخطوة الاولى يجب ان تكون ايقاف التجارب النووية . وقد تحدثت عن هذه النقطة بما فيه الكفاية حتى الآن . والخطوة التالية يجب ان تكون منع انتشار الاسلحة النووية الى دول جديدة . ويمكن تحقيق ذلـك بسهولة اذا ما اتفقت الدول النووية على الامر . ولا يوجـد سبب للاعتقاد بان هذا سيكون له أي تأثير على توازن القوى . فالغرب سيأسف لحصول الصين الشعبية على القنبلة الهيدروجينية ، والشرق سيأسف لحصول فرنسا والمانيا الغربية عليها . ولا يوجد طريق لضمان امتلاكها من قبـل طرف واحد فقط ، ومن ثمة لايوجد سبب للاعتقاد باي طرف من الطرفين سيخسر بمنع انتشارها .

والخطوة التالية والتي ستكون أشـد صعوبة بكثير ، ستكون عقد اتفاقية عامة للكف عن صنع الاسلحة النووية . وهذه الاتفاقية ستتطلب بطبيعة الأمر نظاماً دقيقاً جـداً للتفتيش ، إلا أنه يوجد سبب للاعتقاد بان نظاماً كهذا يمكن أن يكون فعالاً ويوثق بـه . تلك هي النتيجة التي توصل اليها في كتاب « التفتيش على نزع السلاح » الذي اقتطفت منه

قبل قليل . واعتقد انه سيكون من وجود محايدين بين صفوف المفتشين فرصة جيدة ، وانه في حـــال عدم التوصل الى اتفاق ، فان المفتشين المحايدين سيقدمون تقارير علنية عن نتائج اعمالهم .

وبالنسبة للتفتيش ، توجد صعوبة تتعلق بمخزون الدول من الاسلحة . وسيكون من السهل جـــداً اخفاء ذلك ، ومن غير الممكن للمفتشين اكتشاف ذلك . ومع هذا ، فثمة طرق للتغلب على هـذه الصعوبة . فالقنبلة الهيدروجينية غير ذات فائدة مالم توجد وسائل لنقلها الى اراضي العدو ، ومالم توجد قواعد الاطلاق اللازمة . وطالما أن هـذه القواعد موجودة ، امكن اكتشافها بسهولة . وهذا لا ينطبق على القواعد المتحركة كتلك التي توفرها غواصات بولاريس ، إلا ان الغواصة لا يمكن ان تصنع سراً ، ويجب الا يكون من الصعوبـــة اكتشاف ما تستطيع الغواصات حمله من القنابل الهيدروجينية .

وهناك اصلاح محتمل واحد سيكون مفيداً جداً اذا ما امكن اقناع الدول بالاخذ به . وهـذا الاصلاح هو منع القوات الاجنبية من ان توجد في أية اراض . ومع ذلك فاخشى ما اخشاه هو انـه ليس من المحتمل تحقيق ذلك ، إلا بوجود نظـام لنزع السلاح الشامل . فالقوات الامريكية في بريطانيا واوربا الغربية تعتبر جوهرية بالنسبة لحلف شمال الاطلسي (على الرغم من انها ليست كذلك في رأي أفضل الثقاةالامريكيين – انظر كتـــاب الحرب النووية لكاهن) والقوات الروسية في دول كهنغاريا والمانيا الشرقية ضرورية اذا ما كانت روسيا ترغب في الاستمرار باخضاع سكان هذه الدول . ومع ذلك ، فباعتبار هذه الخطوة تمثل احد

الأهداف البعيدة في طريق السلام ، فان من الواجب ان نفكر بهذه الخطوة بانها ستتحقق عندما تصبح عملية .

وينبغي على الغرب ان يأخذ اقتراح خروشوف القاضي بنزع السلاح الشامل بجدية اكبر . فالغرب قد اعتقد كما كان يعتقد دائماً قبل تقديم المقترحات الروسية ، ان الحكومة السوفيتية لن توافق على نزع كاف للسلاح . وقد قال خروشوف في البداية انه سيقبل باي درجة من درجات التفتيش بعد نزع السلاح ، وليس قبل ذلك . ولا ريب انه علم ان الغرب لا يمكن أن يوافق على هذا ، فاذا ما كان الغرب سينزع سلاحه ثم يكتشف بعد فوات الأوان ان الشرق لم يفعل ذلك ، فان الاكتشافات التي يوضحها التفتيش لن تخدم أي هدف مفيد بعد الآن . بيد ان خروشوف قال ايضاً أنه اذا ماتم الاتفاق على نزع كامل وشامل للسلاح فانه سيقبل باي درجة من درجات التفتيش ، ما أن يجري التوصل الى اتفاق . وقد كان الغرب حريصاً على عدم اكتشاف ما سيقبل به خروشوف بالضبط بالنسبة للتفتيش . وقد اكتفى بالاعتراض على اقتراحه واعتبره شيئاً ليس فيه جدية القصد . وكانت هذه خطيئة كبرى لم يكن الغرب ليرتكبها لو أنه كان يرغب بنزع السلاح حقاً . وبدلاً من التحقيق في اقتراح خروشوف ، قدمت الدول الغربية اقتراحات خاصة بها ، وبذلك ابقت على الحوار الذي لا طائل منه بين حجة وحجة مضادة .

وهناك مسألة اخرى يحتمل أن تكون ذات أهمية عظمى خلال عشرة أعوام . وهذه المسألة تتعلق بالأقمار الصناعية التي يركب متنها ملاحون فضائيون وتدور في المدارات حول الارض . ان مثل هذه الأقمار ستقطع خلال فترات اراضي معادية ، وقد تلقي قنابل عليها من ارتفاع

عظيم جداً . واذا ما بقيت على مسافة بعيدة عن سطح الارض ، فسيكون من العسير أصابتها ، إلا أن الدمار الذي يمكن ان تسببه سيكون عظيما. ان علينا أن نتوقع ، في حال عدم القيام بشيء لمنع حدوث وضع فاجع كهذا ، ان الفضاء الخارجي سيمتليء قبل مضي عدد من السنين بهذه الاقمار التي تمطر موتاً ودماراً على الدول التي تشرف عليها وما دام هذا لم يحدث بعد فمن الواجب ان يكون من الممكن منعه ، ويجب أن يكون من الممكن التوصل الى اتفاقية تضع ارسال صواريخ الى المدارات حول الأرض ، أو الى منـــاطق نائية ، تحت اشراف هيئة دولية . ويجب ألا تقوم بذلك دولة مفرده او مجموعة من الدول . والصعوبة في الوقت الراهن هي أن روسيا تبدو أشد تقدماً من الولايات المتحدة بالنسبة لهذه المسألة . وعلى ذلك فان ثقة روسيا بنفسها وكبرياء الولايات المتحدة المجروح تعرقلان التوصل الى فهم متبادل . ان علينا ان نأمل أنه قبل مضي وقت طويل سيحدث تعادل بين روسيا والولايات المتحدة في هذه المسألة . فالتفوق الروسي الراهن يؤسف له ، ليس لانه روسي ، وانما لانه عقبة في طريق التوصل الى اتفاق . وسيكون من المثير للأسف بالقـــدر نفسه اذا ما كان التفوق هذا من نصيب الولايات المتحدة .

وليست الاقمار الصناعية هي التي يتوقع أن تمثل الخطر قبل نهاية القرن الراهن . ان علينا ان نتوقع انه سيكون بالامكان ارسال بشر الى القمر أولاً ، ثم الى المريخ والزهرة . ان هذا سيبدو خيالياً بالنسبة للكثيرين ، الا أنه يعالج بجدية من قبل السلطات العسكرية الامريكية وربما من قبـــل سلطات الاتحاد السوفيتي ايضاً . وقد اوضحت سلطة

عسكرية عليا بالنسبة لموضوع وجود احتمال بوصول الروس الى القمر أولا ، وهذا لا أهمية له ما دامت الولايات المتحدة ستجابه الخطوة الروسية عن طريق الوصول الى المريخ والزهرة[1]. واعتقد ان من المهم ان نضع في فكرنا مثل هذه الاحتمالات بالنسبة للمستقبل القريب . ان هذا العالم الذي نعيش فيه ، كان سيبدو قبل عام ١٩٤٥ اشد هولاً من ان يحتمله المرء ، ولكننا اعتدنا هذا الجو خلال السنوات الست عشرة الماضية . وربما سننظر الى عالم عام ١٩٦١ بعد ست عشرة سنة اذا ما ظللنا احياء ، سننظر الى هذا العالم على انه فردوس سعيد بالمقارنة مع العالم الذي سنحتمله آنذاك .

ولم كل هذا ؟ ان علينا ان نتوقع أن تقوم الجماعة المتنافسة من الروس والامريكان برحلات باهظة النفقات على سطح القمر ، وأن تعيش عدة أيام فيما يبحث كل منها عن الآخر . وعندما ستعثر احداهما على الاخرى ، فستبادر الى القضاء عليها ، وكل طرف سيسمع عن دمار الطرف الآخر ويعلن عن عطلة عامة احتفالا باحراز نصر مجيد . تلك هي التراجيديا الكونية المضحكة التي يقودنا اليها قادة العالم ، وربما — مجرد تفاؤل — سيشعرون بذرة من الادراك المشترك ، او تجد الانسانية

---

(١) قال الليفتانت جنرال دونالد بت نائب رئيس اركان القوات الجوية للولايات المتحدة في شهادة له امام لجنة المجلس للخدمات العسكرية ، في ٢٥ شباط ١٩٥٨ : « ان علينا ان نعتبر السيطرة على القمر الوسيلة الضرورية لضمان السلام بين امم الارض » . وقال ان هذا سيكون : « الخطوة الاولى نحو محطات تنشأ في الفضاء ابعد من القمر » . (مجلة ى . ف . ستون الاسبوعية ، ٢٠ تشرين الاول ١٩٥٨) .

سبيلها الى عقولهم ويوافقون على ان النزاعات يجب الا تخرج من الكون لتكشف عن حماقاتنا وشرورنا للكائنات التي قد تكون سعيدة الآن في كواكب اخرى .

وختاماً لهذا الفصل الكئيب بعض الشيء ، ارى لزاماً علينـــا ان نصبح مدركين لكون الكراهية التي تبدد الامن والمال والقدرة الذهنية على اسلحة الخراب ، والخوف مما قد يفعل احدنا للاخر ، والخطر اليومي المحدق في القضاء على كل ما احرزه الانسان - اقول انه يتوجب علينا ان ندرك بأن كل هذا ان هو الا نتاج الحماقة البشرية . انه ليس كلمة الاقدار ، وليس شيئاً مفروضاً من قبل الشروط الطبيعية ، وانما هو شر ينطلق من العقول البشرية وله جذوره في القسوة القديمة ، والخرافات التي ربما كانت تتناسب مع قطعان البشر المتوحشة قديما . إلا أنـه في وقتنا الحاضر سيدمر هذا الشر السعادة أولا ، ثم كل احتمال في استمرار الحياة . شيء واحد فقط يبدو ضروريا لكي ينقلب هذا الجحيم نعيماً : ان يتوقف الشرق والغرب معاً عن الكراهية والخوف ، وان يصبحا مدركين للسعادة التي يمكنهما التمتع بها اذا ما كانا مستعدين للعمل معـــاً . ان الشر يكمن في قلوبنا ، ومنها يجب علينا استئصاله .

المشكلات الاقليمية

ثمة عدد من المسائل المتعلقة بالحدود يجب ان يبت فيها قبل ان نعتبر السلام مضموناً . وافضل الامثلة على هذه المسائل ، فرموزا وكوريا ولاوس . وليس من السهل ان نفكر باي مبدأ للبت بشأن مسائل كهذه على نحو يكون مضمونا لدى الطرفين ، فحرى بالغرب ان يعلن عن قبوله بمبدأ تقرير المصير ، الا انه يبدو لدى المعاينة القريبة ان الغرب مستعد فقط لتطبيق هذا المبدأ على البلدان التي تدور في الفلك السوفيتي في الوقت الراهن . انه ليس مستعداً للاصرار على مبدأ حق تقرير المصير الديمقراطي في اسبانيا او البرتغال . ومن المشكوك فيه ما اذا كان سيقبل بهذا المبدأ في تلك الاجزاء من العالم الغربي ، حيث يحتمل ان توجد اغلبية مؤيدة للشيوعية . ومن المستحيل في الوقت الراهن التنبؤ بنتيجة المفاوضات التي قصد منها البت بهذه المسائل . والشيء الوحيد الذي يمكن قوله بايجابية هو انها يجب ان تحل عن طريق المفاوضات ، وليس عن طريق التهديدات واستخدام اسلوب الوصول الى حافة الحرب ، وانما عن طريق تسويات يشترك فيها المحايدون .

ان الغرب هو الملوم منذ الثورة الروسية ، لاتباعه سياسة ريب فان وينكل Rip Van Winkle ، فهو قد رفض لوقت طويـل الاعتراف بالحكومة السوفيتية ، كما ان امريـكا والامم المتحدة مازالتـا ترفضان الاعتراف بحكومة الصين الشعبية . والغرب لم يعترف بحكومة المـانيا الشرقية ، اويعترف بالطبيعة الخاصة بحدود الاودر – نيسه . وبالنسبة للمسألة الاخيرة فان حكومة المانيا الغربية والغالبية العظمى من الالمان في كل مكان ، يشعرون بالاستنـكار ازائها . غير ان صعوبات القيـام بمراجعة في هذا الخصوص ، لايمكن التغلب عليها . فالكتلة الشيوعية لن تستجيب قبل كل شيء ، الا اذا جاء الامر نتيجة لهزيمة في الحرب . الا ان مثل هذه الهزيمة ستحدث فقط في حرب نووية شاملة سيتعرض فيها الغرب لهزيمة مماثلة ، وربما لاقت جميـع الحكومات المنظمة نهايتها . ومن جهة اخرى ، فان اعادة حدود المانيا السابقة سيعني تكرار نظام القسوة على نطاق واسع ، والذي كان يمارسه الروس والبولنديون عنـدما طرد السـكان الالمان من المناطق الـتي لم تعد تعتبر المانيـــة من الناحية القانونية .

والاعتراف بنظام موجود يجب ان لايعتبر اعترافا مشروطـا ، وانما يجب اعتباره بمثابة اقرار للحقائق الموجودة . وسرعان ما اضطر الغرب في النهايه الى الاعتراف بهذا فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي ، الا انه لم يتعلم من التجوبة عدم حكمة التلكؤ في الاعتراف بانظمـة حـكم لايمكن القضاء عليها الا بحرب عالمية .

وهناك مشكلة اقليمية اشد صعوبة وخطراً ، يجابهها العالم فيالوقت الراهن ، الا وهي مشكلة المانيا وبرلين . فهذه المسألة هي في الوقت

الراهن قد وصلت الى درجة من التأزم ، بحيث ان كل مايقال عنها يمكن ان يصبح لاقيمة له قبل ان يمكن نشرها . ومع ذلك ، يجب ان نقول شيئاً عن الشكل الذي يجب معاملتها به . والشكل الذي يجب الا نعاملها به . فمن الواجب الا تعالج من قبل الجانبين بقرقعة السلاح ، وهي الطريقة المستعملة لسوء الحظ . فقد قال الادميرال بورك رئيس العمليات البحرية في الولايات المتحدة ، قال في شباط من عام ١٩٦١ : « انني لا اعتقد شخصيا انه ستنشب حرب عامة ، طالما حافظنا على قدرتنا على تدمير الاتحاد السوفيتي مهما فعل . ان لدينا الاستطاعة الآن لفعل ذلك » (التايمس ، ١٧ شباط ١٩٦١) . وقد القى خروشوف خطبة شبيهة جداً بهذه في التاسع من تموز عام ١٩٦١ قال فيها : « ان اي معتد يرفع يده ضد الاتحاد السوفيتي ، او اصدقائه ، سيتلقى الضربة التي يستحقها . ان لدى الجيش السوفيتي الكمية اللازمة من الاسلحة النووية ، وافضل وسائل لنقلها ، اي الصواريخ القريبة المدى والمتوسطة المدى والعابرة للقارات . فليطمئن اولئك الذين يفكرون بالحرب الى ان المسافة لن تنجيهم . كلا ، فاذا مابدأ الامبراليون بالحرب ، فستنتهي بهزيمة كاملة للامبريالية . ان الجنس البشري سيضع منذ الآن والى الابد حداً لنظام يثير حروب السلب والنهب » (التايمس ، ١٠ تموز سنة ١٩٦١) . انني اوافق مع الادميرال بورك والسيد خروشوف على ان القوى التي تقف الى جانب كل منها ستكون قادرة على افناء العدو ، الا ان كلا من هؤلاء المحبين البارزين للبشرية قد أخفق في ملاحظة ان العدو سيكون قادراً على افناء

جانبه ، ان هذه التهديدات المتبادلة لاتسهم باي حال في التوصل الى تسوية ، وانما تجعل الحرب اشد احتمالا . والمسألة الملحة هي برلين الغربية. ويجب ان يكون واضحاً للجميع انه في حال نشوب الحرب سيتعرض جميع سكان برلين الغربية للدمار . وهذا يؤكد ان هذه ليست طريقة فعالة جداً لحمايتهم .

ان مسألة برلين الغربية متزايدة التعقيد ، وربما كان يستحسن اعادة النظر في الخطأ والصواب باختصار .

وتبعاً لخطة الاستسلام غير المشروط التي اتبعت ضد المانيا في الحرب العالمية الثانية ، لم تنته الحرب بعقد معاهدة للسلم ، وانما بعقد معاهدة بين المنتصرين حول الكيفية التي ستحكم بها المانيا . وقد كانت المانيا مقسمة الى اربعة قطاعات : الامريكي والبريطاني والفرنسي والروسي . وكل من هذه القطاعات كان يحكم من قبل السلطة التي يخضع لها القطاع . وبرلين التي كانت محاطة كلياً بالقطاع الروسي ، قسمت بنفس الطريقة الى اربعة قطاعات ، كانت فيها السلطة المعنية هي المهيمنة . غير ان حماقة الغرب التي لاتصدق ، جعلته لاينص على حرية الدخول والخروج من قطاعاته الى القطاع الروسي . وقد استغل الروس ذلك عندما فرضوا حصاراً في عام ١٩٤٨ . وعندما اثبت الخط الجوي ان الحصار غير ذي جدوى ، وافق الروس على عقد اتفاقية سمحوا بموجبها بحرية الدخول والخروج من والى برلين الغربية . وفي الوقت نفسه ، اتحدت قطاعات المانيا الثلاثة ، وسمح لها باقامة حكم ذاتي ديمقراطي . والشيء عينه حدث بالنسبة لقطاعات برلين الغربية الثلاثة . فجميع المفاوضات

المتعلقة بالمانيا او برلين اعتمدت في شرعيتها على اتفاقيات جرى التوصل اليها في يالطا وبوتسدام ، وهذه الاتفاقيات قصد بها ان تكون مؤقتة الى حين عقد معاهدة للسلام مع المانيا . وهكذا جعل انقسام المانيا بين الشرق والغرب عقد مثل هذه المعاهدة مستحيلا . وقد اعلنت الحكومة السوفيتية الآن انها ستعقد معاهدة مع المانيا الشرقية ستضع حداً لاتفاقية الحرب بين روسيا والغرب ، وستلغي بناء على ذلك الوضع الشرعي لبرلين الغربية ، ما لم يعترف بهذا الوضع عن طريق معاهدة جديدة يعقدها الغرب مع المانيا الشرقية . ان الغرب يعتبر انه لايوجد سبب لان نتوقع أن تكون المانيا الشرقية مستعدة لعقد مثل هذه المعاهدة . وقد أعلنت الحكومة السوفيتية انها لن تضغط على المانيا الشرقية من أجل عقد مثل هذه المعاهدة .

من الواجب أن ندرك أن المسألة الأساسية في هذا الموضوع ، هي حق الاتصال الحر بين برلين الغربية والمانيا الغربية . ذلك انه بدون هذا الاتصال ستكون برلين الغربية تحت رحمة المانيا الشرقية كليا . وما دامت المانيا الشرقية تابعة كليا للحكومة السوفيتية ، فان هذا سيعني فقط ان برلين الغربية يمكن أن تنجح بالبقاء فقط بالخضوع كلياً الى الشروط التي ترغب الحكومة السوفيتية بتنفيذها .

ووضع الغرب من الناحية القانونية منيع . فحقوقه بالنسبة لبرلين الغربية تعتمد على معاهدة معقودة بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي ، وهي حقوق لايمكن نقضها قانونياً ، بل انها تظل قائمة الى حين عقد معاهدة صلح شاملة ، إما مع المانيا ككل ، أو مع

كل من شطريها . ويطالب خروشوف بعقد مثل هذه المعاهدة ، ولكنه يبين انه اذا لم يرضخ الغرب ، فان الاتحاد السوفيتي ، سيبرم بنفسه معاهدة مع المانيا الشرقية . وسيعيد النظر بحقوق الغرب فيما يتعلق ببرلين الغربية ، ويعمد الى الغائها . ان وجهة النظر هذه لا يمكن الدفاع عنها من الناحية القانونية .

وخروشوف يخرق من الناحية الاخلاقية ما يعتبره الطرفان حكما مطلقاً اذا ما اريد تجنب نشوب حرب نووية ، مادام يطالب عن طريق التهديد بالحرب باحداث تغيير في الامر الواقع ، تغيير مفيد جدا للشرق ، وغير ذي فائدة اطلاقاً للغرب . واذا سلمنا بان الحرب النووية هي اسوأ كارثة يمكن أن تحل بالطرفين ، فان هذا يعني ان أي تغيير في الامر الواقع يجب أن يتم عن طريق المفاوضات وليس عن طريق التهديد بالقوة ، وانه يجب ألا يحل بشكل جدي بميزان القوى مادام لن يوافق عليه اذا ماحدث . وقد يحتج البعض انه مادامت الحرب النووية أسوأ شيء ممكن ، اذا ما هدد طرف ما بها ، فالطرف الآخر يجب أن يذعن . غير ان الدول ، سواء أكانت مصيبة أم غير مصيبة ، لن تتصرف بهذه الطريقة . فالكبرياء القومي ، يضاف اليه الاعتقاد بان القضية على حق ، سيؤدي حتما الى تهديدات تقابلها تهديدات معاكسة . وهذا ما يجعل سياسة حافة الحرب خطيرة جداً . ففي الوقت الراهن ينشغل الطرفان بهذه السياسة . وفيما يختص بمسألة برلين ، يقع اللوم الرئيسي بالنسبة لهذا الوضع البالغ الخطورة على الاتحاد السوفيتي .

ان الدوافع التي حدت بالروس بان يجعلوا الحياة مؤلمة لسكان برلين الغربية ، لم تعلن بعد ، الا انها واضحة بشكل كاف . فالمانيا الشرقية وبرلين الشرقية فقيرتان مكروهتان من قبل اغلبية السكان . والمانيا الغربية وبرلين الغربية موسرتان وحكومتاهما تتمتعان بالتأييد . وقد فر عدد كبير من سكان برلين الشرقية الى الغرب ، وهذا يمكن ان يتم طالما ان برلين الغربية مفتوحة امامهم ، والاتصالات بين برلين الغربية والمانيا الغربية ممكنة[1]. وهذا الوضع مهين بالنسبة للعالم الشيوعي . والعلاج الوحيد من وجهة النظر الشيوعية هو جعل برلين الغربية بنفس درجة فقر وشقاء برلين الشرقية ، واغلاق منافذ الهرب من برلين الغربية الى المانيا الغربية . ان هذا ليس بالهدف الذي يمكن ان يصفق له اي انسان .

انه لايمكن القول مع ذلك ان الغرب قد عالج ازمة برلين بالحكمة التي كان بوسعه ان يعالجها بها . فاذا ماكان وضع برلين الغربية يمكن ضمانه ، لايوجد سبب كاف يمنع الغرب من الاعتراف بحكومة المانيا الشرقية . ان الغرب قمين بأن يتخذ الخطوات اللازمة للتحقق مما اذا كانت حكومة المانيا الشرقية عازمة على الحفاظ على وضع برلين الغربية ، وحرية اتصالها بالعالم الخارجي ، مقابل الاعتراف بحكومة المانيا الشرقية من قبل الدول الغربية . وعلى ما يبدو فان الغرب لايعرف نوايا حكومة المانيا الشرقية في هذا المجال . وواضح انه لاجدوى من اطالة أمد

---

(١) هذا الكلام قبل انشاء الجدار الذي يفصل الان بين برلين الغربية والشرقية .
المترجم

الازمة والمخاطرة بحرب شاملة ، اذا ما امكن الحفاظ على وضع برلين الغربية . ان على الغرب ان يتخذ الخطوات اللازمة للتحقق فيما اذا كان عقد معاهدة مع المانيا الشرقيـــة يعني الاعتراف من جانبنا ، وتقديم ضمانة من الجانب الآخر تنص على عدم تغيير وضع برلين الغربية . ان عليه التحقق مما اذا كان بالامكان عقد هذه المعاهدة . لقد جرى الحديث عن جعل برلين « مدينة حرة » ، الا انه لم يوضح فيما اذا كان هذا سيعني حرية الاتصال بالغرب . فاذا ما كان الامر كذلك ، فان الاقتراح يستحق التأييـــد بالنسبة لحرية الاتصال ، من الهـام ان تحتفظ برلين الغربية بمينائها الحـاضر في تمبلهوف Tempelhof . ومن الواضح ان المانيا الشرقية تطالب بأن تتخلى عن هذا الميناء . ولقد كان امتلاك مطار تمبلهوف هو الذي مكن برلين الغربية من التغلب على الحصار .

ومن وجهـــة النظر الغربية ، تكمن صعوبة الموقف في استحالة وجود اي دفاع محلي عن برلين الغربيـة . فجميـع الاراضي المحيطة ، مكشوفة امام القوات الروسية ، والمقاومة الفعالة الوحيدة الممكنة للغرب هي الحرب النووية الشاملة . وفي حال نشوب مثل هـذه الحرب ، فان من المتوقع ان جميـع سكان برلين الشرقية والغربية سيتعرضون للفناء ، وتلك نتيجة عجيبة للحماية . فالحماية في الواقع ، طالما ان روسيا متمسكة برأيها ، يمكن ان تتم فقط عن طريق التهديد بحرب نووية دون ان تنشب في الواقع . فاذا ماظن ان التهديد مجرد خداع ، فانه لن يعني الحماية . واذا ماظن انه خـداع دون ان يكون كذلك في الواقع ، فان الجنس البشري سيتعرض للانقراض .

ومن المحتمل ان يقوم الغرب برفع مسألة برلين الى لجنة محكمة ، ويحشد العالم غير الشيوعي ضد التهديد بالحرب من قبل الدول التي تدعو نفسها بالدول المحبة للسلام . وقد قدم السيد دين راسك مؤخراً اقتراحاً ليس غير مشابه كلياً . غير انه من المشكوك فيه ما اذا كان سيوافق كل طرف على الاقتراح .

ان وضع المانيا كلها وليس برلين فقط ، هو الذي يجعل التوصل الى سلام مستقر صعباً جداً . فكل الماني يرغب بشكل طبيعي في اعادة توحيد المانيا ، وما دام جزء من المانيا شيوعياً ، والجزء الآخر غير شيوعي ، فليس من السهل ان نرى كيف يمكن تحقيق هذا الهدف . ان علينا ان نلاحظ ان خروشوف قد احيا مؤخراً خطة راباكي Rapacki التي تقضي بنزع السلاح من المانيا كلها وبعض البلدان الواقعة الى الشرق منها ، وتحييد المانيا وهذه البلدان وحمايتها بضمانات تسهم فيها روسيا والغرب . ومن وجهة نظر السلم العالمي ، يبدو هذا الاقتراح مثيراً للاعجاب . ومن المأمول ان ياخذ الغرب بهذا الاقتراح ، الا انني اخشى ان هناك املا بسيطاً في ان يحدث ذلك . فاديناور يعارض الاقتراح بشدة ، لأنه يريد المانيا قوية عسكريا . كما ان امريكا وبريطانيا وفرنسا التي تريد مساعدة المانيا مسلحة لمقاومة روسيا ، تعارض الاقتراض ايضاً ولا يلوح ان ثمة احداً في الغرب قد لاحظ ان خطة راباكي تعني نزع سلاح عدد من الدول الشيوعية ، الذي سيكون مقابلاً لنزع سلاح المانيا الغربية .

ان الاعتماد على المانيا الغربية من قبل الدول الغربية يحمل جوانب خطرة يجري تجاهلها . فالقوات الالمانية ماتزال تحت قيادة جنرالات

معظمهم كان نازيا سابقاً . ان الاحياء الالماني تحت قيادة هتلر يجب ان يكون سابقة في هذا المضمار . فهناك قوات المانيـة متمركزة في بريطانيا بدعوة من الحكومة البريطانية . وانه لمما يثير الدهشة ان ماشعرنا به جميعاً في عام ١٩٤٠ يمكن نسيانه بسرعة .

كل هذه المشكلات المستعصية يمكن ان تصبـح سهلة الحل جداً ، اذا ماوافق العالم على اقتراح خروشوف بنزع السلاح الشامل والـكامل . وهو اقتراح اعاد طرحه خلال الازمة الراهنة مراراً . ان مايجعل خطة راباكي غير مقبولة لدى الالمان هو حقيقة كونها تنص على نزع السلاح من المانيا ، وليس نزع سلاح اية دولة كبرى . فاذا ماكان نزع السلاح عاماً ، فقد هذا الاعتراض قوته .

ان أيا من الدول العظمى في الشرق والغرب لم يفلح في احراز خطوة ايجابية بالنسبة لمشكلة المانيا او برلين ، او يبدي أية درجة من الحكمة . وربما ينسحب كل من الطرفين من مواقع التطرف نتيجـة لأزدياد خطر اندلاع الحرب النووية ، ويجد طريقة يمكن الحفاظ بواسطتها على بقـاء سكان بلادهم . بيد أنه يلوح بنفس الدرجة من الاحتمال ان الكبرياءالقومي والتصميم على عدم الرضوخ بالتهديدات سيدفع بالطرفين بعيداً حتى يتعرض كل منهما للدمار بفعل حماقة متبادلة .

عالم ثابت

انني اكتب الان في لحظة سوداء (تموز ١٩٦١) ، ومن المستحيل معرفة ما اذا كان الجنس البشرى سيعيش طويلا بما فيه الكفاية ليقرأ ما اكتبه وانشره ، ولكن مادام الامل ممكنا ، فان اليأس يصبح من شيم الجبناء .

ان أهم الأسئلة الموضوعة امام العالم في الوقت الراهن هو السؤال التالي : هل من الممكن تحقيق اي شيء مرغوب فيه عن طريق الحرب ؟ ان كنيدي وخروشوف يقولان أجل ، والعقلاء يقولون لا . وبالنسبة لهذه المسألة الهامة يتساوى كنيدي وخروشوف . فاذا ما كان بوسع المرء ان يفترض ان كلا منهما قادراً على تقديم تقدير عقلاني للاحتمالات ، فان علينا ان نؤمن بان الطرفين يوافقان على أن الوقت قد حان لفناء الانسان . ولكن ليس هذا ما يفكران به بالطبع . فالكبرياء والعجرفة والخوف من ماء الوجه والتعصب الايديولوجي قد عطلت قدرتهما على الحكم . ومما يزيد من عماهما ، وجود عمى مماثل لدى جماعات الضغط القوية والهستيريا الجماعية التي تنطلق من دعاوتها ومن اصدقائها ومؤيديها .

فما الذي يمكن على ضوء هذه الظروف ان نفعله لمجابهة حماقات الأقوياء؟

ان المتشائم قد يقول : لماذا نبحث ولماذا نسعى للحفاظ على الجنس البشري . أليس من الأفضل ان نبتهج لدنو نهاية حمل عظيم من الشقاء والكراهية والخوف الذي عكر صفو حياة الانسان أليس حريا بنا أن نفكر بابتهاج بمستقبل جديد لكوكبنا ، ونشعر بالسلام أخيراً ، وننام

ان التفكير بالسجل الكريه للحماقات والقسوة والشقاء التي تشكل جزءاً كبيراً من الحياة البشرية ، يجب ان تأتي بالنسبة لأي طالب من طلبة التاريخ في لحظات من التعاطف الخلاق . وربما اغرانا مسحنا بان نصبح في النهاية ، مهما كان ذلك تراجيديا ونهائياً ، مخلوقات غير قادرة على الشعور بالفرح .

غير ان المتشائم لديه نصف الحقيقة فقط ، وفي رأيي ان لديه النصف الأقل أهمية . ان الانسان ليس لديه القدرة على استعمال القسوة وعلى احتمال الشقاء فحسب ، وانما لديه ايضا القدرة على العظمة والمجد ، تلك القدرة التي تحقق جزءاً منها فقط ، الا انه يكشف عما يمكن ان تكون عليه الحياة في عالم أشد حرية وسعادة . فاذا ما استطاع الانسان ان يقف بطول قامته الحقيقية ، فان ما يمكنه تحقيقه يتجاوز قدرتنا الراهنة على التصور . ان الفقر والمرض والوحدة يمكن أن تصبح مصائب نادرة . كما ان التوقع المعقول للسعادة يمكن ان يقضي على ليل الخوف الذي يتيه فيه الكثيرون الآن . ومع اطراد التطور قد يصبح ما يعتبر الآن عبقرية ملك قلة بارزة ، ملكا شائعاً للكثيرين . كل ذلك ممكن ، لابل انه محتمل خلال آلاف القرون التي توجد أمامنا اذا لم ندمر انفسنا بجنون قبل أن نصل الى النضوج ، الذي يجب أن يكون هدفنا . كلا ، دعونا لا نستمع للمتشائمين لأننا لو فعلنا ذلك لأصبحنا خونة لمستقبل الانسان .

فاذا طرحنا هذه الآمال البعيدة جانباً ، ماذا يتعين علينا ان نفعل في عصرنا ؟

قبل كل شيء علينا التخلص من الحرب . ففي الوقت الراهن تنهمك بصمت بعد انتهاء كابوس طويل من الألم والرعب .

الأمم في حرب باردة وينفق على الاستعدادات للقتل ثلاثين ألف مليون جنيه استرليني في السنة ، او سبعين ألف وخمسمائة جنيـــه في الدقيقة . ففكروا ماذا يمكن لهذه المصروفات ان تفعله في مضمار دفــع الرخاء الانساني الى الامام . أن اكثر من نصف سكان العـالم يعاني من سوء التغذية ، ليس لان ذلك محتماً ، وانما لان الدول الثرية تفضل ان يقضي كل منها على الآخر ، على ان توفر الحياة للدول الفقيرة وتساعدها على التوصل الى مستوى افضل من الحياة . اذ لايوجد ، طالما ان عقليتنـا مستمرة على حالها في الوقت الراهن ، ما يدفــع الدول الثرية لمساعدة الدول الاخرى ، باستثناء الامل بشراء دعمها وتأييدها في الحرب الباردة . فلماذا لانستخدم ثروتنا لشراء دعمها للسلام المضمون ؟

هناك خوف يشعر به أولئك الذين يهتمون بصناعة الاسلحة ، سواء أكانوا أصحاب عمل أو عمالاً ، ومفاده ان نزع السلاح قـد يؤدي الى انهيار اقتصادي مريع . وهذا الخوف لا يشاركهم به اولئك المؤهـــلون للحكم على هذا الامر ، وسأحيل القارىء الى مناقشتين متعارضتين احداهمـا ظهرت في مجلة (ذي نيشنز بزنيس The Nation's Business)لسان حال غرفة التجارة الامريكية ، عدد تشرين الاول ١٩٥٩ ، والمقال الآخر نشره السيناتور هوبرت . ه . همفري (رئيس لجنـة نزع السلاح التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي) ظهر في مجلة (ثينك Think) في عدد كانون الثاني ١٩٦٠ ، وكل من هاتين السلطتين تقران بان التجربة في نهاية الحرب العالمية الثانية قد كشفت عن احتمال وجود فترة انتقال ناجحة ، من اقتصاد الحرب الى اقتصاد السلم ، اذا ماوضعنـا بعض التحفظات العملية . واعتقد على ذلك ان بامـكاننا ان نلغي النظرية

المتناقضة والقائلة باننا نستطيع ان نظل على قيد الحياة عن طريق الاعداد للقتل فقط .

واذا ما اريد لحكومة عالمية ان تعمل بنجاح ، فان بعض الشروط الاقتصادية يجب ان تتحقق . واحد هذه الشروط التي بدأت باكتساب دعم وتأييد واسعين هو رفع مستوى الحياة في الدول التي تعتبر الآن دولاً نامية ، الى المستوى الذي يسود بين اوساط السكان الموسرين في الغرب . وحتى تتحقق العدالة الاقتصادية بين اجزاء العالم المختلفة ، فان الدول الفقيرة ستمضي في الشعور بالحسد ازاء الدول الغنية ، والدول ستخشى قيام عمل ينطوي على العنف من قبل اولئك الذين يتمتعون بقدر اقل من الثراء .

غير ان هذا ليس اشد الخطوات الاقتصادية التي قد تكون ضرورية ، ليس اشدها صعوبة . فالمواد الخام المختلفة ضرورية للصناعة ، ومن هذه المواد يعتبر الزيت اهمها . وربما سيكون اليورانيوم ، على الرغم من انه لم يعد ضروريا في الحرب ، سيكون جوهريا بالنسبة لاستخدام الطاقة النووية في الصناعة . ليست هناك عدالة في الملكية الخاصة للمواد الاولية الجوهرية . واعتقد ان علينا ان ندرج في قائمة الملكية الخاصة غير المرغوب فيها ، ليس ملكية المواد الاولية الجوهرية من قبل الافراد او الشركات ، وانما من قبل الدول ايضاً . ان المواد الاولية التي لايمكن للصناعة ان تمضي بدونها يجب ان تمتلكها سلطة دولية ، وتمنح الى دول منفصلة بما يتناسب مع مبدأي العدالة والحاجة لاستخدامها . والدول التي ليست لديها هذه الحاجة يجب ان تقدم لها المساعدة ، لكي تستخدمها .

في العالم المستقر الذي نفكر فيه ، يمكن ان يكون هناك قدر اكبر بكثير من الحرية مما هو متوفر في الوقت الراهن . ومع ذلك فستكون هناك بعض الحدود الجديدة على الحرية مادام سيكون من الضروري توفر الولاء للحكومة العالمية وكبح جماح الدعوة للحرب من قبل دول منفردة او مجموعات من الدول . وهذا التحديد يجب ان تتبعه حرية الصحافة والكلام والتنقل . وينبغي ان يحدث تبدل جذري في التعليم ، اذ يجب الا يعلم الصغار بعد الآن المغالاة بتقدير مزايا دولهم والافتخار بمواطنيهم الذين ابدوا مهارة في قتل الاجانب ، او تبين مقياس السيد بودسناب Podsnap القائل : « انني لآسف اذ اقول بان الدول الاجنبية تفعل ماتفعله في الواقع » . ان التاريخ يجب ان يدرس من وجهة نظر دولية بالتأكيد تأكيداً صغيراً على الحروب ، والتأكيد بشدة على الانجازات السلمية ، سواء كانت تتعلق بالمعرفة او الفن او الاكتشاف او المغامرة . ان على سلطات التربية والتعليم في دولة ما ، الا يسمح لها من قبل الحكومة العالمية باثارة الشعور الشوفيني ، او بالدعوة الى العصيان المسلح ضد الحكومة العالمية وباستثناء هذه الحدود ، يجب ان تتوفر حرية اعظم في التربية والتعليم مما هو متوفر في الوقت الراهن . ويجب على المدرسين ان يتقبلوا الآراء غير الشائعة مالم تسبب هذه الآراء خطر الحروب ، والتأكيد الكامل في ميدان تعليم التاريخ او المواد الاجتماعية ، يجب ان يتركز حول الانسان وليس الدول كل منها على حدة او مجتمعة .

ان لدى الافراد والجماعات نوعين متعاكسين من الحوافز : الحافز الأول هو التضامن ، والآخر هو المنافسة . وكل تقدم في التقنية العلمية

يزيد من مجال التعاون ويقلل من مجال المنافسة . ولست اعني انه يجب ان تزول المنافسة كليا كحافز ، وانما اعني انه يتوجب الا تأخذ اشكالاً يمكن ان تسبب الأذى ، وبخاصة اذا ما اتخذت شكل الحرب . ان من الواجب ان يكون حدوث تعاون عالمي ، وتوليد عادة التفكير في مصالح الجنس البشري ككل . ونتيجة لمثل هذا التعليم يجب ان يكون هناك نمو عام في الشعور بالصداقة ، وازالة الدعوة للكراهية التي تشكل حتى الآن جزءاً من المناهج التربوية في معظم البلدان .

هناك اولئك الذين يشعرون ان عالماً دون حروب سيكون عالماً سئماً . ويجب الاعتراف بأنه في عالمنا الراهن ، يعيش العديد من الناس حياة ليست بذات اهمية ، ويشعر بعضهم بأنهم قادرين على الأقل أن يفعلوا شيئاً له اهمية ، وان يجدوا الانفراج من السأم والرتابة عندما ينقلون خلال الحرب الى بلدان بعيدة ، ويمتلكون الفرصة لرؤية طرق الحياة ، التي تختلف عما اعتادوا عليه في الوطن . واعتقد انه يجب الاعداد للمغامرة ، وحتى المغامرة الخطرة بالحياة ، ولكن من النوع الذي يرغب به الشبان . فمثل هذه المغامرة التي تكون تعاونية عادة ، تتطلب النظام والتعاون والمسؤولية ، لا بل وحتى الطاعة ، التي لاتؤدي الى زيادة قوة الشكيمة والتي تعتبر الآن أساس حب العديد من الناس للحرب . ويجب أن توجد فرصة للاشتراك في رحلات الاكتشاف العلمية في القطب وجبال الهملايا والانديز . وبالنسبة لاولئك الذين يتوقون الى أشياء اشد مغامرة ، يجب ان توجد رحلات فضائية مادامت الآن على وشك ان تتحقق . ومع الخلاص من عبء التسلح سيصبح بالامكان

تزويد جميع الشبان القلقين بكل مايرحبون به ، ولكن ليس بالطريقة التي تتسبب بالتعاسة والشقاء وخطر نهاية الانسان .

اذا ما قضينا على خطر الحرب ، فستكون هناك فترة انتقال تظل أفكار البشر وعواطفهم خلالها متأثرة بالحرب . وخلال فترة الانتقال هذه يجب أن نتوقع ان جميع الفوائد من انهاء الحرب لايمكن الحصول عليها . فسيكون هناك غلو في الشعور بالمنافسة ، ولن ينسجم الجيل القديم على الأقل مع العالم الجديد الذي هو في طور التكوين . وبينما تستمر اعادة التنظيم ، ستكون هناك حاجة لبذل جهود ، ربما تعني وضع بعض الحدود على الحرية ، من اجل تحقيق الانسجام اللازم . واست أعتقد مع ذلك ان هذا الانسجام سيكون مستحيلا ، فالطبيعة البشرية هي تطبع بالنسبة لتسعة أعشارها ، بينما يظل العشر الأخير وراثياً . وهذا الجزء الذي يعود للتطبع ، يمكن التحكم به عن طريق التربية ، وربما تبين مع الزمن انه حتى الجزء الوراثي يمكن معالجته بالعلم .

دعونا نفترض ان فترة الانتقال امكن اجتيازها بنجاح ، ونسأل انفسنا عن نوع العالم الذي يمكن أن نأمل به ، نتيجة لذلك . كيف سيعمل الفن والادب والعلم في مثل هذا العالم ؟ اعتقد اننا نستطيع أن نتأمل بأن التحرر من اثقال الخوف ، من الخوف الاقتصادي الخاص ، والخوف العام من الحرب ، سيسبب وصول الروح الانسانية الى قمم لم تكن لتحلم بها . فالانسان قد فجع دائماً بآماله وتطلعاته ومخيلته بسبب

الحدود التي تكبل ما يمكن فعله وقد سعى البشر للخلاص من الألم والحزن عن طريق الامل بجنة بعد الحياة . وكما يقول الكاهن الروحي الزنجي : « سأخبر الله بجميع مشاكلي عندما أذهب الى البيت » . غير انه لاتوجد حاجة لانتظار الجنة ، لايوجد سبب بجعل الحياة على الأرض لاتمتلىء بالسعادة ، ولا يوجد سبب يجعل المخيلة تلتجأ الى الاسطورة . ففي عالم كذاك الذي يمكن للبشر أن يصفوه اذا ما اختاروا ذلك ، سيكون خلاقا في اطار وجودنا الارضي . وفي الاوقات الاخيرة تقدمت المعرفة بسرعة عظيمة الى حد ان الحصول عليها اصبح مقصوراً على اقلية صغيرة من الخبراء ، لايمتلك من الخبرة او القدرة على مزجها بالشعور الشعري وبالحدس الكوني ، الا جزء صغير منها . لقد وجد نظام الفلك السبطلي افضل ثوب شعري له في انتاج دانتي . اننا نعاني من العلم غير المتمثل ، ولكننا في عالم تسوده تربية اشد مغامرة ، فان هذا العلم سيتمثل ويمكن لشعرنا وفننا ان يتسع نطاقهما ليعانقا عوالم جديدة تستخدم في ملاحم جديدة . ان تحرير الروح الانسانية يمكن أن يؤدي الى جمالات ورؤى جديدة ، من المستحيل ان تتحقق في عالم الماضي الشرس . ان الانسان يمكنه ان ينظر الى الامام لمستقبل أطول بكثير من ماضيه ، مستقبل يستلهم رؤيا جديدة ، يستلهم املا مستمرا تدعمه باستمرار الانجازات الجديدة . لقد حقق الانسان بدايات تتناسب مع طفل رضيع ، ذلك ان الانسان الذي هو آخر الانواع من الناحية البيولوجية مايزال رضيعاً ، ولا يمكننا وضع حد لما يمكنه تحقيقه في

المستقبل ، وانني لأرى بعين خيالي عالماً من المجد والسرور ، عالماً يسرح فيه العقل ، عالماً يظل فيه الأمل زاهراً ، ولا بد أن فيه ما هو نبيل ويوصم بالخيانة لهذا الغرض او ذاك . كل ذلك يمكن أن يتحقق اذا ما سمحنا له بالتحقق . وعلى جيلنا تقع مسؤولية أن يقرر الاختيار بين هذه الرؤيا وبين نهاية يجرها على نفسه بحماقته .





Assault at Arms, a Policy for Disarmament, General Sir Ronald Adam, Bt, G.C.B., D.S.O. and Charles Judd, C.B.E. (U.N.A. of Great Britain and Northern Ireland, London, 1960).

Brighter Than a Thousand Suns: The Moral and Political History of the Atomic Scientists, Robert Jungk (Gollancz, London, 1958, and Penguin Books, 1960).

Can We End the Cold War? A Study in American Foreign Policy, Leo Perla (Macmillan, New York, 1960).

Community of Fear, Harrison Brown and James Real (Center for the Study of Democratic Institutions, Santa Barbara, California, 1960).

Disarmament, the Intensified Effort (1955–8) (Department of State, Washington, D.C., July 1958).

Fallout, A Study of Superbombs, Strontium 90 and Survival, ed. John M. Fowler (Basic Books, New York, 1960).

Inspection for Disarmament, ed. Seymour Melman (Columbia University Press, New York, 1958).

1970 Without Arms Control, National Planning Association (Washington, D.C., 1958).

No Carte Blanche to Capricorn: The Folly of Nuclear War Strategy, Édouard le Ghait (Brookfield House, New York, 1960).

No More War, Linus Pauling (Dodd Mead & Co., New York, 1958).

Nuclear Explosions and Their Effects, second edition (Publications Division, Ministry of Information and Broadcasting, Delhi, 1958).

On Thermonuclear War, Herman Kahn (Princeton University Press, Princeton, 1960).

Peacemaker or Powder-Monkey: Canada's Role in a Revolutionary World, James M. Minifie (McClelland and Stewart, Canada, 1960).

Survival, Vol. II, No. 2, and Vol. III, No. 1 (Institute for Strategic Studies, London, 1960 and 1961).

The Arms Race, A Programme for World Disarmament, Philip Noel-Baker (Stevens and Sons, London, 1958).

The Causes of World War Three, C. Wright Mills (Simon and Schuster, New York, 1958).

The Logic of Defence, a Short Study of the 'Nuclear' Dilemma, Lt-Col. Patrick Lort-Phillips, D.S.O. (Radical Publications, England, 1959).

Towards Sanity; A Study of the Defence of Britain, Lt-Col. Patrick Lort-Phillips, D.S.O. (Radical Publications, Wales, 1960).

Why We Are Here, H. L. Keenleyside (National Committee for Control of Radiation Hazards, Montreal, 1960).

للمترجم

١ اللصوص تأليف: فريدريك شيلر دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٢

٢ ـ زواج الحب « : ماري ستوبس مكتبة المعارف ـ « ١٩٦٣

٣ هيلين « : فيكي باوم مؤسسة النوري للنشر ـ دمشق ١٩٦٣

٤ ـ في التربية « : برتراند رسل دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٤

٥ الممارسة والنظرية البلشفية « : « « دار الانوار ـ بيروت ١٩٦٥

٦ مشاكل نمو الاطفال « : ايمانويل ميلر « « ـ « ١٩٦٦

٧ ـ التربية والنظام الاجتماعي « : برتراند رسل دار مكتبة الحياة ـ « ١٩٦٦

٨ ـ الصراع على سورية « : باتريك سيل دار الأنوار ـ « ١٩٦٨

٩ ـ هل للانسان مستقبل؟ « : برتراند رسل دار دمشق للنشر ـ دمشق ١٩٦٩

الفهرس

هذا الكتاب

يعتبر اللورد برتراند رسل (مؤلف هـــذا الكتاب) من اعظم الفلاسفة العالميــين الذين وقفوا كتاباتهم على دراسة النوع البشري والتنبيــه الى الاخطار التي تحدق به .

وهو في كتابه هذا الذي بين أيدى القارىء ينبه الى الاخطار التي تحدق بالانسان نتيجة التسابق الذري بين الدول الكبرى .

وكما يقول ارنولد توينبي فان النمط الاساسي لهذا الكتاب هو ذلك الاهتمام - المخلص النابض - بالمحافظـة على الجنس البشري ، وهو عنيف في انتقاده لشرور الانسان وغبائه . وأي مرمى يستحق سهامـه أنسب من المسلك الحالي الذي تسلكه الدول النووية .

واذا كان لورد رسل يكره الجرائم والحمـاقات التي ارتكبها الجنس البشري في المـاضي والحاضر ، فان هـذا لايجعله يتغاضى عن المكاسب الروحية والفكرية التي حققها أفضل من يمثلون النوع البشري .

التوزيع في الاقطار العربية

دار دمشق - دمشق - شارع بور سعيد - هاتف ١١٠٤٨ - ١١٠٢٢